تنبيه تحتوي هذه الصحيفة على آيات قرآنية وأحاديث نبوية، المرجو صيانتها عن أي امتهان

التوريث الدعوي عند الصحابة ومن بعدهم

د. محمد موسى الشريف ص : 7

قوانين القرآن الكريم

د. محمد راتب النابلسي ص : 4

البريد الإلكتروني : almahajjafes@gmail.com

المحجة

■ المدير المسؤول : د. عبد العالي حجيج

جامعة نصف شهرية

الثمن : 3 دراهم

07 شوال 1431هـ - 16 شتنبر 2010م

العدد : 343

الإنسان خلق وعمل

د. الشاهد البوشيخي ص : 8

الرحمة باب الله الأول : من طرقه فتح له

د. فريد الأنصاري رحمه الله تعالى ص : 5

أزمة وحدة السودان : حيثيات وتداعيات

د. الطيب الوزاني ص : 11

البرلمان الفرنسي يوافق على منع النقاب في الأماكن العامة!!

ص : 3

الطفل المغربي محمد الدويك يفوز بمسابقة قرآنية دولية بالدوحة

ص : 3

﴿ يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم ﴾

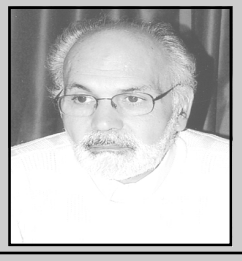

د. عبد العلي حجيج

أيها الإخوة الأعزاء الكرام أهل هذه البلاد المغربية الكريمة العزيزة الطيبة

لقد استجبتم لنداء ربكم الكريم ووفقكم سبحانه وتعالى – وأنتم المعتزون بدينكم الحريصون على طاعة ربكم كجميع أبناء الأمة الإسلامية المجيدة- إلى صيام شهر رمضان المعظم وقيام لياليه المباركة والإقبال على تلاوة القرآن الكريم وحفظه وتدبره وأداء الصلوات في أوقاتها والإقلاع عن المنكرات وأحسستم جميعا بقيمة الأخوة الإيمانية المتينة التي على أساسها تقوم علاقاتكم فشاعت بينكم البسمة والرحمة والألفة وتحيات السلام وساد بينكم الهدوء والسكينة والمسارعة إلى فعل الخيرات ومساعدة الضعفاء والفقراء والأرامل والأيتام. وأقبلتم على ربكم تطلبون المغفرة والتوبة والهداية بقلوب خاشعة منيبين إليه سبحانه وتعالى وقد قبل سبحانه توبة من تاب وغفر ذنوب من إليه أناب، فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال : «من صام رمضان إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه». وقد تمت لكم الفرحة الأولى عند فطركم قال رسول الله ﷺ : «للصائم فرحتان : فرحة عند فطره وفرحة عند لقاء ربه» فقد وصلتم جميعا الفرحة الأولى وفزتم وسعدتم بها وتنتظرون منه سبحانه وتعالى برحمته أن يمتعكم ويعطيكم يوم لقائه الفرحة الثانية.

وكان من نتاج كل ذلك أن تعلمتم من شهر الصبر أن تتحلوا بالصبر على الطاعات والصبر عن المعاصي والمنكرات وتعلمتم من الشهر الذي وصف بالمطهر «قد جاءكم المطهر» كيف تطهرون أرواحكم وأنفسكم وأجسامكم ونواياكم من كل أنواع الخبائث والموبقات.

وقد استقر في نفوسكم الثقة واليقين بأن الطريق القويم والسديد لخلاص الأمة من جميع ما تعرفه من متاعب ومصاعب ومفاسد ومما ينعت بمظاهر التخلف على جميع الأصعدة إنما هو من سلوك صراط الله سبحانه ومنهجه وتطبيق شرعه ودينه فرادى وجماعات ﴿وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله﴾

لقد كنا جميعا في هذا الشهر المبارك نحيا حياة إيمانية ربانية لها آثار عملية بناءة على أرواحنا وقلوبنا ومشاعرنا تجاه بعضنا البعض وتجاه بلدنا ووطننا وتجاه من يجمعنا الإسلام به من أبناء هذه الأمة الإسلامية العزيزة، كانت مشاعرنا فياضة ممتدة طافحة بالأشواق والآمال عشنا حياة تختلف عما ألفناه من سائر الأشهر حياة نقتبس كثيرا من مظاهرها من قوله سبحانه وتعالى : ﴿يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم﴾ أي لما يجعلكم تحيون به حياة كريمة طيبة يعمها الأمن والرخاء والطمأنينة وراحة البال على أرواحكم وأبدانكم وأعراضكم وأموالكم و مجتمعكم وحرياتكم الشخصية وحرياتكم تجاه من يمكن أن يتسلط عليكم أو يستولي على أراضيكم وخيراتكم من أعدائكم. وتحيون حياة يحصل لكم بها العز والسيادة والسعادة فينتشر العلم فيما بينكم بمناهجه الصحيحة القويمة وبأهدافه النافعة الشريفة فيتحقق العدل ويختفي الظلم وتُيسر وسائل الحياة وتحسن المعاملات والخدمات بين الناس وتنتفي الرشوة والمحسوبيات واستغلال نفوذ الوظائف والمناصب.

إن هذه الحياة الكريمة التي تودون من أعماقكم لو أنها تستمر وتدوم في واقعكم بأحسن صورة وأتمها وأكملها كما هي مفهومة من الآية الكريمة قد حجبتها عن عيون أغلبكم الغفلة من جهة والانقياد إلى الأهواء والمغريات وحب الدنيا من جهة أخرى. ونحن في واقعنا وفي تطلعاتنا أحوج ما نكون إليها.

تريدون ولا تريدون : تريدون أن تتحقق هذه الحياة الكريمة في جميع إداراتكم ومصالحكم ومؤسساتكم التعليمية بجميع مستوياتها وفي جميع أسواقكم ومتاجركم ولكن لا تريدون أن تكونوا في سلوكاتكم الشخصية عاملين وملتزمين بها، وهذا مكمن العيب وموطن الفساد.

أيها الإخوة الأفاضل أبناء وطننا الحبيب :

إن هذه البلاد التي تحيون فيها والتي يمتعكم الله بها بلاد لها تاريخ مجيد هي بلاد البطولة والعزة وا لحرية، بلاد الشهامة والمروءة والكرامة والنبل، بلاد الفضائل وحسن الأخلاق وحسن المعاملات، بلاد الرحمة والتعاون تنطلق في كل ذلك من قيم دينها الحنيف، من قرآن ربها وسنة نبيها ﷺ، على ذلك عاني أجدادكم وبها نالوا السيادة والشرف والمجد.

فما أحوجنا إلى أن نكون مثلهم نتخلق بأخلاقهم ونشيع هذه الأخلاق الكريمة التي تجمع ولا تفرق توحد ولا تمزق تقوي إلى الخير العزائم وتقضي على ما يجر إلى الهزائم.

ابنوا هداكم الله حياتكم وأخلاقكم ومعاملاتكم فيما بينكم على الأخوة الإيمانية يشتد عودكم ويستد رأيكم وتنشر الرحمة بينكم فربنا سبحانه وتعالى يقول ﴿إنما المومنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم لعلكم ترحمون﴾.

إن هذا الإصلاح ليس ينحصر مفهومه في الخصومات والنزاعات التي فيها للأيدي ضرب وبطش ولكن أيضا للإصلاح بمفهومه الاجتماعي والتعليمي والاقتصادي الذي يؤدي إلى السلم الاجتماعي في ضوء القيم النبيلة التي أوضحها وبثها المنهج الإلهي.

كونوا بقلوبكم ومشاعركم وبما تستطيعون في صف الاسلام والمسلمين ولو بدعاء الخير لهم والدعاء على أعدائكم، فإنكم ترون وتسمعون الهجمات الشرسة والمكائد المغرضة الظاهرة والخفية التي يعامل بها أعداء الإسلام المسلمين ودينهم في مناطق متعددة من العالم الإسلامي ومن تشويه لصورة الإسلام ولصورة النبي ﷺ ومن إعلان سافر فاضح بإحراق نسخ من المصحف الشريف علناً أمام أنظار العالم الإسلامي لاستفزاز مشاعرهم وإهانة مقدساتهم فحسبنا الله ونعم الوكيل.

وإذا كنتم أيها الإخوة الكرام في صف الإسلام فإنكم تكونون مع المصالح العليا للبلاد وتكونون في صف العدل والإنصاف، وفي صف الحق والخير وفي صف الحرية وفي صف الصلاح والإصلاح الحقيقي في جميع الميادين والمجالات.

انصروا دينكم يرتفع شأنكم وانصروا قيمه تعيشوا في ظلها بسلام.

فأقبلوا أيها الأفاضل الكرام يا أبناء هذا الوطن العزيز على قراءة هذا العدد من جريدتكم التي تأخذ بأيديكم إلى محجة الإسلام وتقدم لكم ما هو شهي ولذيذ من مائدة القرآن.

قبل البدء لا بد من وقفة..

أسرتك بحاجة لأن تجعلها أولى أولوياتك..

عزيزي القارئ، تأمل هذا المشهد..

".. كان يمشي في صحراء حافي القدمين تائها، ينتظر لحظة نهايته.. ولما رأى على مسافة منه جملاً عليه أسباب نجاته: ماء وطعام.. انطلق يجري مُسرع الخطا ليدركه، فأصابت الأحجار قدميه فأدمتها، فنظر إلى قدميه لحظة ليرى أثر الجراح التي أصيب بها.. فغاب الجمل عن ناظريه!.. وكان أن مات من العطش والجوع جراء غفلة لحظة!.."

أُنظر!.. لحظةُ نظرٍ إلى جراح قدمين كلفت هذا الرجل حياته!.. نموذج يتكرر كثيرا داخل أسرنا اليوم، فغالبا ما يلتفت الأب أو الأم ليس فقط لحظة أو لحظات بل لساعات وأيام لبعض الأمور يحسبها هامة في حياته، ولكن سرعان ما يستفيق على كارثة تربوية داخل أسرته!..

عزيزي القارئ: إن أسوأ ما يمكن أن تشعر به هو عندما تدرك أن "الأهم" في حياتك قد تحول إلى المرتبة الثانية أو الثالثة، أو حتى أبعد من ذلك في قائمة أولوياتك بما في ذلك أسرتك.. يزداد شعورك سوءا عندما تبدأ في ملاحظة عواقب ما حدث!.. أعرف ما سوف تقوله وما قد تسمعه من الآخرين "ليس لدينا الوقت!".. لكن أقول لك: إن لم يكن لديك الوقت لليلة واحدة، أو على الأقل ساعة واحدة أثناء الأسبوع، حيث يجتمع شمل الأسرة، فاعلم أن أسرتك ليست صاحبة أولوية في حياتك..

معظم الناس يشعرون بأن الأسرة هي صاحبة الأولوية الأولى، كثيرون يضعون الأسرة حتى قبل الاهتمام بصحتهم إذا تطلب الأمر، وقد وضعوا أسرتهم قبل حياتهم كلها، وقد يضحون بأنفسهم من أجل الأسرة، لكن إذا سألت هؤلاء الناس عن أسلوب معيشتهم وعلام يصرفون انتباههم وتركيزهم الأساسي، ستجد أن الأسرة لديهم في مرتبة أدنى بعد العمل والأصدقاء والهوايات الخاصة!.. فيكون الأب مفتقدا للاستمتاع بطفولة أبنائه، فهو ليس موجودا معهم، وحتى ولو كان كذلك، فإنه ليس موجودا بروحه.. عقله وروحه يركزان على أشياء أخرى.. وإذا أراد أن يخصص وقتا مفيدا لهم، وقتا كبيرا، لا يكون باستطاعته فعل ذلك، لأنه يكون مشتت التركيز، هائم التفكير، فيحاول أن "يشتري" حب أبنائه بالإغداق عليهم بالهدايا والعطايا المالية، لكن هذا لا يحقق رابطة حقيقية.. والأبناء أيضا يشعرون بهذه الخسارة أيضا..

اعلم يا أخي الوالد! أن دورك في أسرتك ليس نهاية، فلن يأتي من يحل محلك فيه، دورك في أسرتك والحاجة إلى ممارسة ذلك الدور لن ينتهيا حتى بعد وفاتك، سيظل أبناؤك، وأحفادك وأبناؤهم ينظرون إليك كوالد، أو كجد.. الأدوار الأسرية هي من بين الأدوار القليلة في الحياة التي لا تنتهي، بل إنها أصدق الأدوار استمرارية.. ولهذا فإنك إذا كنت تعيش من أجل دور مؤقت، تاركا رصيدك من الدور الدائم فارغا، فأنت بذلك تنخدع بغرور الدور المؤقت وتَحرم نفسك من ثراء الحياة الحقيقي وهو الشعور العميق والدائم بالرضا الذي لا يتولد إلا من العلاقات الأسرية..

فهل تريد يا صديقي أن تندم في نهاية حياتك على تفريطك؟!

في النهاية، فإن الحياة تعلمنا ما هو مهم، وذلك هو الأسرة.. إذن لماذا لا نضع الأسرة في مقدمة سلم أولوياتنا، بل حتى قبل أن يحدث تعارف بين الزوجين؟! أو حتى عندما يكونان حديثي عهد بالزواج، أو عندما يكون أبناؤهم صغارا؟ ولماذا لا نتذكر ذلك عندما تأتي التحديات التي لا مفر منها؟..

يحكي أحد الآباء وهو أحد رجال الأعمال الحرة، أنه كان ذات ليلة في مكتبه داخل البيت غارقا في ترتيب الأوراق، منهمكا في كتابة مخططه، فإذا بابنته الصغيرة تقترب من المكتب، وفجأة قفزت إلى جواره دون أن يلاحظها، ثم قالت له بصوت البراءة الطفولية: «أبي..ماذا تفعل؟»، ودون أن يرفع بصره أجابها: «لا تقلقي يا عزيزتي، إنني أكتب أسماء كل من أريد مقابلتهم والتحدث معهم غدا في الأمور الهامة الخاصة بي..».. ترددت الصغيرة قليلا ثم سألته بهدوء وبسمة الطفولة تشرق على شفتيها: «وهل اسمي مكتوب معهم يا أبي؟!»..

فهذا الموقف وأمثاله يبين أنه لا يجب أن نضع الأمور الهامة تحت رحمة الأمور الأقل أهمية.. فلا يمكن أن ينجح أي منا في أسرته وهو لا يضع أسرته في مقدمة أولوياته..

ذ. محمد بوهو
al_qalsadi2006@hotmail.com

جريدة المحجة
■ المدير المسؤول : د. عبد العلي حجيج
■ مسؤول الإخراج : رشيد صدقي
الموقع الإلكتروني : www.almahajja.net
عنوان المراسلة : حي عز الله، زنقة 2 رقم 3- فاس -المغرب
الهاتف : 931113 (0535)
الإيداع القانوني : 1994- 61
رقم الصحافة : 11/ 91
الترقيم الدولي : 3627- 1113
الطبع : إكو برانت - البيضاء
التوزيع : سابريس

محطات إخبارية - محطات إخبارية - محطات إخبارية

البرلمان الفرنسي يوافق على منع النقاب في الأماكن العامة!!

وافق البرلمان الفرنسي، بصورة نهائية، على مشروع قانون يحظر ارتداء النقاب والبرقع في الأماكن العامة مع تصويت في مجلس الشيوخ، لكن تطبيقه لن يكون نافذًا إلا في ربيع 2011 بعد فترة "تمهيدية" من 6 أشهر، وفي حال صادق عليه المجلس الدستوري.

وبذلك تكون فرنسا، التي فيها نحو 1900 امرأة تضع النقاب أو البرقع بحسب التقديرات الرسمية، أول بلد أوروبي يفرض هذا الحظر المعمم، وتتخذ حاليًا في بلجيكا الإجراءات لإقرار قانون مماثل.

وقد تبنى مجلس الشيوخ النص بغالبية 246 صوتا مقابل صوت ضد، بدون إجراء أي تعديل على النسخة الأصلية التي صوتت عليها الجمعية الوطنية قبل شهرين، ما يعتبر بمثابة ضوء أخضر من البرلمان.

وقالت ميشال اليو ماري، وزيرة العدل، أمام مجلس الشيوخ: إن "العيش في الجمهورية بوجه مكشوف" هو "مسألة كرامة ومساواة"، وفي بلد تسوده تقاليد علمانية راسخة تحظر الحجاب وكذلك جميع الرموز الدينية الأخرى البارزة في المدارس،

ويحظر النص ارتداء العباءة التي تغطي كل الوجه ما عدا العينين، أو البرقع الذي يغطي كامل الجسد، تحت طائلة دفع غرامة بقيمة 150 يورو مع الخضوع لدورة تدريب عن المواطنة.

وسيواجه كل شخص يرغم امرأة على ارتداء النقاب او البرقع عقوبة السجن لمدة عام ودفع غرامة بقيمة 30 الف يورو بعد صدور هذا القانون.

بريطانيا تسحب جنودها من أفغانستان سرًا

كشفت تقارير صحافية بريطانية أن الجيش البريطاني يخطط سرًا لتسريح جنود يخدمون على خط النار في أفغانستان، في إطار الإجراءات التي اتخذتها وزارة الدفاع لتخفيض الإنفاق.

وذكرت صحيفة "صن" أن الجيش البريطاني سيقوم بإبلاغ الجنود الذين يعتزم تسريحهم بعد عودتهم إلى المملكة المتحدة من الخدمة في أفغانستان، فيما سيفقد الكثير من الجنود البريطانيين تعويضات نهاية الخدمة والمعاشات التقاعدية في إطار برنامج مواز من التخفيضات.

ونقلت الصحيفة عن وثائق مسرّبة أن آلاف الجنود البريطانيين يواجهون خطر التسريح نتيجة طلب الحكومة الائتلافية من وزارة الدفاع تخفيض ميزانيتها بنسبة 20٪، فضلًا عن الجنود البريطانيين المصابين بجروح جراء العمليات القتالية في أفغانستان بغض النظر عن حالاتهم.

ونسبت إلى ضابط بريطاني لم تكشف عن هويته القول "إن وزارة الدفاع أنزلت نفسها إلى مستوى متدن من خلال التخطيط لتسريح الجنود سرًا بينما هم يُقاتلون في أفغانستان".

هل يمهد أردوجان لإصلاح سياسي جديد في تركيا بعد منعه ستة أعوام؟

توقع مراقبون سياسيون أتراك أن يقترح رئيس الوزراء رجب طيب أردوجان دستورًا يقضي باعتماد النظام الرئاسي، تمهيدًا لترشحه إلى الرئاسة العام 2012.

وأوضح المراقبون، وفق ما أوردته صحيفة "الحياة" اللندنية، أن تأييد 58 في المائة من الأتراك للتعديلات الدستورية التي اقترحها أردوجان يرفع من سقف هذه التوقعات.

وفي السياق ذاته، أكدت مصادر في "حزب العدالة والتنمية" الحاكم بزعامة أردوجان، أنه يدرس الاستفادة من الأصوات التي أيدت التعديلات الدستورية خلال الاستفتاء الأحد، في الانتخابات التشريعية المقررة في يوليو المقبل، وذلك من خلال رفعه شعار الدعوة إلى دستور جديد في البلاد.

وقال برهان كوزو أحد قياديي "حزب العدالة والتنمية" إنه لا خطط لدى الحزب الآن لإعداد دستور جديد للبلاد، على رغم أن نتيجة الاستفتاء تشجع الحكومة على المضي في هذه الطريق.

ورأى كوزو أن أمام الحكومة خيارين للوصول إلى هذا "الهدف"، إما بتمرير المزيد من التعديلات الدستورية عبر استفتاءات جديدة، أو الاتفاق مع المعارضة على صياغة دستور.

"مور" يدعو لبناء مسجد على "الأرض صفر"

أعرب المخرج الأمريكي الشهير مايكل مور- صاحب الفيلم الوثائقي "فهرنهايت 9/11"، الذي ينتقد سياسة الرئيس الأمريكي السابق جورج بوش في التعامل مع أحداث 11 سبتمبر- عن تأييده لمشروع بناء مركز إسلامي على مقربة من موقع برجي مركز التجارة العالمي بنيويورك.

ليس هذا فحسب، بل أنه كتب على موقعه على الإنترنت، السبت، يقول وبإصرار إنه لا يريد بناء المركز الإسلامي والمسجد بالقرب من "الأرض صفر" بل على "الأرض صفر" نفسها، في إشارة إلى مكان برجي مركز التجارة، اللذين انهارا في هجمات 11 سبتمبر على الولايات المتحدة.

وتبرع مور بمبلغ 10 آلاف دولار لبناء المركز الإسلامي، على بعد أمتار قليلة من موقع هجمات سبتمبر، وناشد كل مواطن أمريكي أن يتخذ موقفا لنصرة هذا المركز، مبرئًا الدين الإسلامي من الأفعال الإرهابية.

الطفل المغربي محمد الدويك يفوز بمسابقة قرآنية دولية بالدوحة

فاز الطفل المغربي محمد الدويك بمسابقة في تجويد القرآن الكريم نظمتها قناة الجزيرة للأطفال بتعاون مع وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية في دولة قطر، ونال جائزة مالية قدرها مائة ألف ريال قطري (حوالي 236 ألف درهم مغربي).

وحل الدويك في المرتبة الأولى من بين أربعة مترشحين للمرحلة النهائية من هذه المسابقة التي نظمت إقصائياتها في عدة دول عربية من بينها المغرب، وشارك فيها آلاف الأطفال.

وعبر الطفل المغربي الفائز عن سعادته بهذا الإنجاز، وقال: أنا سعيد جدا بهذا الفوز، وأشكر الله تعالى على أن وفقني إليه، كما أشكر والدي اللذين سهرا على تعليمي القرآن، وأهدي هذا الفوز إلى الشعب المغربي وإلى شيخي محمد الترابي وإلى أمي وأبي وعائلتي.

ويبلغ محمد الدويك من العمر 13 سنة، وقد حفظ القرآن على يد أبيه ،

وفاز بالمرتبة الثانية الطفل عبد الحميد صوفي من قطر ، في حين جاء في المركز الثالث الطفل السوري عدنان نور الدين الخضري ، أما المرتبة الرابعة فقد حلت فيها الطفلة جواهر فايز شمو، وهي من سوريا كذلك.

ألم قلم

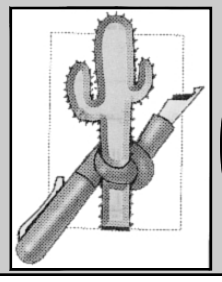

وللّه العزة ولرسوله وللمومنين

كنت سأضع عنوانا آخر لهذا المقال، مأخوذا من بعض العبارات الدارجة، وهي عبارة "العز للمغاربة"، لكني آثرت العنوان المقتبس من الآية الكريمة، لأن عموم المغاربة مؤمنون، وسيبقون كذلك بإذن الله تعالى إلى يوم الدين، وما دام الأمر كذلك فستبقى العزة مصاحبة لهم، بإذن الله تعالى إلى يوم الدين، ولمن ناوأهم في دينهم وعزتهم وعقيدتهم الذلة أبد الآبدين.

ومن الأكيد ألا عزة إلا بالإسلام، فمن أعزه الله بالإسلام، وابتغى العزة في غيره أذله الله، كما قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه منذ القديم.

في الأيام الأولى لشهر رمضان المبارك، نشرت عدد من المواقع الإلكترونية مقالات وتسجيلات لعدد ممن يحارب الله ورسوله جهارا نهارا، يدعون فيها بشكل صريح إلى المجاهرة بالأكل في رمضان، وإلى إلغاء المادة القانونية التي تعاقب على ذلك، دون أن يراعوا في ذلك لهذا الشهر المبارك حرمة، ولا للمغاربة المتدينين بطبعهم كرامة.

ورغم أن المجاهرة بالأكل في رمضان لا تقوض دعائم الصوم عند الآخرين الملتزمين بالصوم، ولا تنزع الإيمان أو الإسلام عن كل أكل بشكل تلقائي، فهناك العاجز والمريض والمسافر وغيرهم ممن يجوز لهم الأكل، وذلك في مقابل الصلاة التي لا تسقط عن المسلم كيفما كان حاله، وكيفما كان وجوده، أقول رغم كل ذلك وما شابه ذلك، فإن الدعوة إلى المجاهرة بالأكل في شهر رمضان، هو وجه آخر من وجوه الحملات المتعددة المحلية والعالمية ومعول من معاول هدم ما تبقى من معالم الدين، وتقويض بنيانه وطمس آثاره حتى لا يبقى منه شيء.

ويبدو أن مما يزيد من سعار هؤلاء الملفوظين اجتماعيا وحضاريا هو ما يشاهدونه من إقبال الناس على المساجد في هذا ا لشهر الكريم في سائر الصلوات وخاصة في صلاتي العشاء والتراويح، حيث إنك لا تجد موطئ قدم في مجموع المساجد إلا وفيه الركع السجود، ثم ما يشاهدونه من التزام جماعي للمغاربة بما تتطلبه شعيرة الصوم من إمساك وإفطار. فحينما يرفع آذان المغرب تخلو الشوارع والدروب من كل حركة إلا حركة الهرولة نحو المسجد للصلاة، أو البيت لتناول طعام الإفطار. وهذا كله لا يروق هؤلاء المتنطعين، لأنهم لا يريدون أن تبقى لهذا الشهر أي حرمة، ولا أي تمييز عن الشهور الأخرى.

وأكثر من هذا أن المواقع التي نشرت تلك المقالات والتسجيلات عبر "اليوتوب" وسمحت بتعقيبات القراء، فإن الملاحظ أن الأغلبية الساحقة لهؤلاء القراء أدانت إلى درجة الإجماع تقريبا ما لجأ ويلجأ إليه هؤلاء المرفوضون اجتماعيا وحضاريا، وعبروا عن تمسكهم بدينهم وعقيدتهم وحضارتهم، مما دفعني إلى القول : "العز للمغاربة!!"

وقريب من هذا ما قرأته من تعقيبات على ما نشرته أيضا هذه المواقع منذ مدة من تسجيلات لمقاطع من برامج تلفزيونية حول العلاقة بين الجنسين قبل الزواج, حيث أجمعت هذه التعقيبات أو كادت على إدانة هذا النوع من العلاقات ووصفته بأبشع الأوصاف، ونادت هذه التعليقات بسن قوانين لزجر ما يمكن أن يعبر عن ذلك مما يشاهد من موجة العري والخلاعة في الشوارع.

ولذلك أعود فأقول مقتبسا قول الله تعالى : ﴿ولله العزة ولرسوله وللمومنين ولكن المنافقين لا يفقهون﴾.

قال القرطبي في الجامع لأحكام القرآن "توهموا أن العزة بكثرة الأموال والأتباع، فبين الله تعالى أن العزة والمنعة والقوة لله" وتوهم هؤلاء المنبوذون أن العزة تكمن في اللجوء إلى وسائل إعلام غربية والاستقواء بها لهدم حصون الإسلام، لكن الشعب المغربي أبان أنه هنا، حاضر يذود عن معتقده ودينه وحضارته.

د. عبد الرحيم بلحاج

قوانين القرآن الكريم 1

لخبير الجمال الدعوي الدكتور محمد راتب النابلسي

مثل قراءة طيبة لكتاب الله العزيز الذي لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه "كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء توتي أكلها كل حين بإذن ربها" وإنما أكلها الدائم ضبط مقاصد التنزيل لأجل التنزيل، وفرعها السامق جمال التفكر وجلال التدبر عند الترتيل، وأصلها الثابت رصانة القواعد ومتانة الضوابط التي يبنى عليها التفسير والتأويل.

فمتى كانت القراءة على هذا العهد شرطا وقصدا، كانت بحق طيبة مباركة ياتيها رزقها من الفهم رغدا من عند الله. فقد روى البخاري في صحيحه «عن أبي جحيفة قال : قلت لعلي هل عندكم شيء من الوحي إلا ما في كتاب الله؟ قال لا والذي فلق الحبة وبرأ النسمة لا أعلمه إلا فهما يعطيه الله رجلا في القرآن...» ولقد دعا رسول الله ﷺ لعبد الله بن عباس فقال «اللهم فقهه في الدين وعلمه التاويل» واتفق العلماء على أن المراد بالتأويل تأويل القرآن.

و"قوانين القرآن الكريم" برنامج للأستاذ الدكتور محمد راتب النابلسي، العالم الكبير والداعية الشهير، خبير الجمال الدعوي حفظه الله، عرضه طيلة رمضان الماضي عبر قناة الرسالة الرائدة بأسلوبه الشيق المعهود المترجم لما آتاه الله من العلم والحكمة، وهما خلتان تدوران مع صلاح الكيان و العمران وجودا وعدما... والبرنامج نموذج طيب لتلكم القراءة المباركة... ألا وإن الفهم الطيب يخرج نباته بإذن ربه والذي خبث لايخرج إلا نكدا.

الحلقة الأولى مقدمات ممهدات

أعده للنشر ذ. عبد المجيد بالبصير

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين اللهم أخرجنا من ظلمات الجهل والوهم إلى أنوار المعرفة والعلم ومن وحول الشهوات إلى جنات القربات... مع الحلقة الأولى من... "قوانين القرآن الكريم".

الإنسان بين التفوق والتطرف

...الإنسان هو المعني بهذه القوانين،وهو المخلوق الأول رتبة لقوله تعالى ﴿إنا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الانسان﴾(الأحزاب : 72) والإنسان هو المخلوق المكرم لقوله تعالى : ﴿ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا﴾(الإسراء :70) والإنسان هو المخلوق المكلف، مكلف أن يعبد الله، والعبادة علة وجوده، والعبادة في أدق تعاريفها"طاعة طوعية، ممزوجة بمحبة قلبية، أساسها معرفة يقينية، تفضي إلى سعادة أبدية "

...في هذا التعريف جانب سلوكي هو الأصل، وجانب معرفي هو السبب، وجانب جمالي هوالنتيجة، ومع ذلك فالإنسان عقل يدرك، وقلب يحب، وجسم يتحرك. غذاء العقل العلم، وغذاء القلب الحب، وغذاء الجسم الطعام والشراب. فحينما يلبي الإنسان حاجات عقله وقلبه وجسمه يتفوق، وحينما يلبي إحدى حاجات عقله أو جسمه أو قلبه يتطرف، وفرق كبير بين التفوق والتطرف... وفضلا عن ذلك فالإنسان نفس هي ذاته، هي التي تؤمن، هي التي تكفر، هي التي تسمو، هي التي تسقط، هي التي تحسن هي التي تسيء، هي التي تسعد هي التي تشقى، ذاته نفسه، والجسم وعاء النفس في الدنيا، والروح القوة الإلهية التي تمد الجسم بالحياة.

مقومات التكليف الستة

...الله جل جلاله حينما كلفنا أن نعبده أعطانا مقومات التكليف.

ما مقومات التكليف؟

الكون هو الثابت الأول، هذا الكون الذي هو مظهر لأسماء الله الحسنى وصفاته الفضلى، هذا الكون هو قرآن صامت، وهذا القرآن الذي بين أيدينا هو كون ناطق، والنبي عليه الصلاة والسلام الذي كلفه ربنا أن يبين ما في القرآن هو قرآن يمشي. أعطانا الكون، في كل شيء في الكون آية تدل على أنه واحد، آية تدل على وجوده ووحدانيته وكماله... هذا الكون يقرأه كل إنسان من كل لغة ومن كل لون ﴿ياأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا﴾(الحجرات :13) الكون هو الثابت الأول، كله آيات دالة على عظمة الله ﴿إن في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الالباب الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والارض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار﴾(آل عمران : 190– 191) فالكون أحد مقومات التكليف.

والعقل، العقل أداة معرفة الله، جهاز من أعظم الأجهزة، بل إن العقل حتى الآن عاجز عن فهم ذاته. العقل له مبادئ السببية والغائية وعدم التناقض، وهي متوافقة توافقا تاما مع خصائص الكون ومع قوانين الكون.

ثم إن الله سبحانه وتعالى أعطانا فطرة،مقياس دقيق يكشف لنا خطأنا،قال تعالى : ﴿ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها﴾(الشمس : 7– 8)... هذه النفس البشرية حبب إليها الإيمان وزينه في قلوب الخلق وكره إلى الإنسان الكفر والفسوق والعصيان.

إذن أعطاه كونا ينطق بوجود الله ووحدانيته وكماله، أعطاه عقلا هو أداة لمعرفة الله، أعطاه فطرة يكشف بها خطأه ذاتيا، لأن الله سبحانه وتعالى سوى هذه النفس بطريقة عجيبة أنها تكتشف خطأها ذاتيا.

ثم إن الله سبحانه وتعالى أودع في الإنسان الشهوات، وما أودع في الإنسان الشهوات إلا ليرقى به إليه صابرا أو شاكرا،فالشهوة قوة محركة... لو تصورنا سيارة، الشهوة هي المحرك، والعقل هو المقود، والمنهج الشرعي هوالطريق، فمهمة العقل أن يبقي هذه المركبة على الطريق وهي مندفعة بقوة المحرك.

أعطى الإنسان فضلا عن كل ذلك... اختيارا ليثمن عمله، فلو أن الله أجبرنا على الطاعة لبطل الثواب، ولو أجبرنا على المعصية لبطل العقاب، ولو تركنا هملا لكان عجزا في القدرة. إن الله أمر عباده تخييرا، ونهاهم تحذيرا، وكلف يسيرا، ولم يكلف عسيرا، وأعطى على القليل كثيرا، ولم يُعْصَ مغلوبا ولم يُطَعْ مُكْرَهًا.

أعطاه الكون، أعطاه العقل، أعطاه الفطرة، أعطاه الشهوة،أعطاه حرية الاختيار. ثم جعل الوقت تعبيراعن هذا الإنسان فقال الله عز وجل ﴿والعصر إن الانسان لفي خسر إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر﴾ "فالإنسان بضعة أيام، كلما انقضى يوم انقضى بضع منه". هذه مقومات التكليف، فماذا عن تعريف العلم لأننا نتكلم... عن قوانين القرآن.

القانون أحد أكبر ثمار العلم

...العلم هو الوصف المطابق للواقع مع الدليل، أما القانون إنما هو علاقة بين متغيرين، علاقة ثابتة قطعية الثبوت. هذه العلاقة يوافقها الواقع وعليها دليل. لوألغينا الدليل لكان هذا الكلام تقليدا، لو ألغينا الواقع لكان الكلام جهلا، لو ألغينا القطعية لكان وهما أو ظنا أو شكا. القانون أحد أكبرثمار العلم، لذلك نحن نجد في القرآن قوانين، نجد علاقات ثابتة، والتعامل مع الله وفق القوانين شيء مريح جدا، الإنسان أحيانا يكون في إدارة، ولها مدير عام، هذا المدير مزاجي، التعامل معه صعب جدا، لاتعرف متى يغضب، قد يغضب لسبب تافه وقد يرضى بلا سبب، فالتعامل المزاجي صعب جدا. لو أن هذا المديرالعام وضع قواعد في ترقية الموظف منها الدوام، منها الإنجاز، منها حسن العلاقة مع الناس، هذه القواعد الثابتة تريح جميع الموظفين. وربنا جل جلاله إلهنا... وخالقنا جعل هناك قواعد ثابتة في التعامل معه، هذه القواعدالثابتة سماها الله جل جلاله في قرآنه سننا ﴿ولن تجد لسنة الله تبديلا ولن تجد لسنة الله تحويلا﴾(فاطر : 43) هذه القواعد الثابتة لو أن الإنسان أخذ بها لسلم وسعد في الدنياوالآخرة.

نماذج من قوانين القرآن الكريم

...الله عز وجل يقول مثلا﴿ليس بأمانيكم ولا أماني أهل الكتاب﴾، ﴿من يعمل سوءا يجز به﴾(النساء :122) دققوا في أن صيغة القانون... تقترب من جملة الشرط، اسم شرط جازم له فعل شرط وجواب شرط،وجواب الشرط لايقع إلا إذا وقع فعل الشرط، هذه الصيغة أقرب صيغة في اللغة العربية إلى القانون" من يعمل سوءا يجز به " حقيقة وقاعدة وقانون ثابت على مدى الأيام... والحقب، وفي كل مكان.

قانون آخر ﴿من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة﴾(النحل :97) قانون آخر ﴿ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى﴾(طه :124) قانون ثالث ﴿ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لايحتسب﴾(الطلاق :2– 3) قانون رابع ﴿إن الله لايغير مابقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم﴾(الرعد :11).

حبذا لو أن إخوتنا الكرام وقفوا عند هذه القوانين وأخذوا بها وجعلوها منهجا في تعاملهم مع الله عز وجل... هذه القوانين أو تلك السنن في المصطلح القرآني ومثيلاتها سوف نشرحها إن شاء الله تعالى...إلى حلقات قادمة... والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

عبرة

لما خرج سفيان الثوري إلى البصرة فارا من الخليفة المهدي نزل في بعض البساتين وأجر نفسه على أن يحفظ ثمارها، مر به بعض العشارين (الذين يشترون التمر) فقال له:من أين أنت يا شيخ؟ قال: من أهل الكوفة. قال: أخبرني، أرطب الكوفة أحلى أم رطب البصرة؟ قال: أما رطب الكوفة فحلو وأما رطب البصرة فلم أُذقه.قال الرجل:ما أكذبك من شيخ، الكلاب والبر والفاجر يأكلون الرطب الساعة، وأنت تزعم أنك لم تذقه، فرجع إلى العامل ليخبره بما قال لتعجبه، فقال: ثكلتك أمك أدركه إن كنت صادقا فإنه سفيان الثوري، أمسكه لنتقرب به إلى أمير المؤمنين المهدي.

ياله من ورع ويا لها من تقوى تجعل المرء يتحرى الحلال في مأكله و مشربه وملبسه وشأنه كله، هذا سفيان رحمه يحفظ الثمار ولم يذق تمرة، ومنا من يجعل ما استحفظ عليه مرتعا له ولذويه وأقاربه، يأخذ منه ماشاء متى شاء إن كان مالا، وإن كان وسيلة جعلت تحت يده ليستعين بها في عمله، سخرها في قضاء أغراضه الخاصة، وإن كان مما ينتفع به (أدوية-موادا غذائية- بنزينا.....) أضحى مباحا له ولأسرته، فضاعت بهذا أموال الأمة، وحرمت من حقها في الاستفادة مما جاد به الله عزوجل من خيرات. يروى أن عمر بن عبد العزيز استأذن عليه أحد مستشاريه ليلا وهو في بيت مال المسلمين، منهمك في شؤون الرعية، فلما دخل عليه بادره عمر رحمه الله قائلا: أفي أمر من أمور المسلمين جئتني أم في أمر يخصك؟ قال : بل في أمر يخصني.فأطفأ عمر السراج وقال : لاينبغي لزيت اشتري بمال المسلمين أن يضيع في غير مصالحهم.

بمثل هذا ساد المسلمون، وارتفعت رايتهم على مشارق الأرض ومغاربها، فكيف وقد أصبحوا لا يبالون من أين يكسبون أموالهم، و يسابقون إلى الحرام البين، أما الشبهات فما سلم منها إلا من سلّمه الله عز وجل، فهل يرجى لمن هذا حاله أن يبدل الله حاله، إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم .

ذ. منير مغراوي
mounir_taha@hotmail.fr

الرحمة باب الله الأول : من طرقه فتح له ومن لم يطرقه تُحُسِّر عليه (2/1)

د. فريد الأنصاري -رحمه الله تعالى

الرحمة أوسع الأبواب إلى الله وأسبقها إلى العباد

ذكرنا ما ذكرنا عن الحمد الذي نعبد الله به في صلواتنا وفي خلواتنا، ووصف الله سبحانه وتعالى نفسه بصفتيه (الرحمن الرحيم) وهما اسمان من أسماء الله الحُسْنَى، ونوران من أنواره العُلَى (الرحمن الرحيم). والرحمة هي باب الله الأول الذي من طرقه فُتِحَ له، ومن أعرض عنه نُودِيَ عليه، ونُودِيَ عليه، ثم نُودِيَ عليه، ثم إذا لم يُصْغِ تُحُسِّرَ عليه؛ ولذلك جاء في كتاب الله ﴿يا حسرة على العباد، ما ياتيهم من رسول إلا كانوا به يستهزءون﴾(يس29). **خلق الله عز وجل الخلق بالرحمة، وخلقهم للرحمة، ورزقهم بالرحمة، وهداهم إليه بالرحمة، وطلب منهم جل جلاله من علاه أن يعبدوه بالرحمة، حتى إذا ضلوا وكفروا ناداهم بالرحمة، وجدد عليهم النداء بالرحمة، ووسَّعَ عليهم أبواب الرحمة، عسى أن يتوبوا. ولم يجعل لإنسانٍ البتة اليأس من رحمته حتى يُغَرغِرَ، أوتطلعَ الشمس من مغربها. فباب الرحمة هوأوسع الأبواب إلى الله عز وجل على الإطلاق**، وقد صَحَّ الحديثُ عن النبي ﷺ حكايةً عن ربه ... في حديث قدسي «ورحمتي سبقت غضبي»(1) رحمته سبحانه سابقةٌ غضبَه وعذابَه. وسَبْقُ الرحمة معناه أنها تسبق منه عزَّ وجلَّ إلى العباد، قبل أن يلحقَهم عذاب تسبق إليهم رحمتُه ﴿وما كنا معذبين حتى نبعَثَ رسولا﴾(الإسراء 15). فالرسول هوالرحمة سابقٌ عن العذاب، والمؤمن – كل مؤمن– شرد عن باب الله وعصى ربَّه، فإنه يلطمُه سبحانه وتعالى، يلطمُه بالرحمة. وقد ذكرْنا –قبلُ– كيف أن بعضَ العلماء مَثَّلَ للمصائب، التي تنزلُ بالعباد من المسلمين ومن غيرِهم، أنها أشبه ما تكون بالحجرة أوالعصا التي يضربُ بها الراعي غنمَه، أويُلقيها على الشاة الشاردة... فتتألم لتنتبه حتى تعود إلى القطيع رحمةً بها أن يأكلَها الذئب ؛ فكذلك المصائب التي تنزل بالمسلمين، وكذلك الآلام التي تنزل بهم في العالم أجمع : هي لطمات الرحمة لطمات.. وصفعات.. من الرحمن الرحيم سبحانه وتعالى وهوأرحم بعباده من كل رحمةٍ نتصورُها.

الإنسان مفعول به في المواجيد بما فيها مواجيد المحبة والرحمة

إننا أيها الإخوة الأفاضل كلما تدبرنا اسمَيْه الرحمن الرحيم كلما ازددنا محبةً لله. والمحبة لله –عزَّ وجل– هي الباب التي فتحها الله عزَّ و جل لعباده، فتحها لخُلَّص العباد ﴿إنه من عبادنا المخلصين﴾(يوسف 24) أي أنَّ الله أخلصَه إليه، والمؤمن ما يزال يُخلص لله حتى يكونَ مُخْلَصًا، والإخلاص لله عزَّ وجل لا يكون إلا بمحبته، ولا يجوز أن يقولَ أحدٌ: إني أحبُّ الله هكذا... يعني : يَدَّعي وكلٌ يَدَّعي ما يشاء، لوذكر لي شخصٌ أنه يحب ابنه لَسَهُلَ عليَّ التصديق لأن المحبة إحساس.. شعور، يقول لك: أنا أحب ولدي هذا بالذات، هذا صحيح في الغالب، لأن الفطرة البشرية مبنية على محبة الأطفال ﴿زُين للناس حب الشهوات من النساء والبنين﴾(آل عمران 14). هل سألنا أنفسنا عن محبة الله عزَّ وجل؟ هل نجد المحبةَ في قلوبنا فعلاً؟ هل نجدها؟ –من الوُجد والشعور والإحساس– أم أننا ندَّعي؟ أحسبُ أنَّ مشكلتنا الكبرى هي أننا ندَّعي في هذا المقام... والدليل على أننا إنما ندَّعي... أفعالنا. المحب لربه لا يستطيع أن يجد نفسَه حيثُ ينهاه، لمه؟ يستحيي منه سبحانه قبل أن يخافه؛ حينما تكون العلاقة بين الأب وابنه هي المحبة الحقيقية فإن الابن يستحيي من أبيه أكثرَ مما يخاف منه، وكذلك حينما تكون بين المُرَبِّي ومريده في المجال التربوي، فإن المريدَ أوالتلميذ –سَمِّه ما شئت– يستحي من أن يراه مربيه في المكان الذي لا يليق، لم؟... لأنه يحبُّه. إنَّ المؤمنَ يُطلَبُ منه أن يحبَّ ربَّه وليس فقط أن يخافَه، نعم الخوف مطلوب ﴿وخافون إن كنتم مومنين﴾(آل عمران 175) ولكنا نخاف الله من حيث هوالقهار، ومن حيث هوالجبار، ومن حيث هوالمتكبر، ذوالجبروت، ذوالطَّول، شديد العقاب، شديد العذاب، نخاف، لكن أسماء الله الحسنى الدالة على الرحمة سابقة، أنواره الرحمانية سابقة على أنواره الجبروتية، سابقةٌ إلى قلوبنا «رحمتي سبقت عذابي»، سبقت، ومطلوبٌ من المؤمن أن يسعى ليطرق باب الرحمن الرحيم أولاً، ولذلك ما يزال العبد يسعى إلى ربه – كما قال ابن القيم رحمه الله كالطائر يطير بجناحين؛ جناحه الأيمن حب الله، وجناحه الأيسر خوف الله، حتى إذا رأى ما يرى الذي يفارق الدنيا ويُقبل على الآخرة، غَلَّبَ جناحه الأيمن على جناحه الأيسر، وظنَّ الخيرَ بالله، وظنَّ الحسنى بالله، فغَلَّبَ الرجاءَ على الخوف، وغَلَّبَ المحبة.والله عزَّ وجل يقول في القدسي من الحديث «أنا عند ظن عبدي بي»(2) لكن هذا الظن كيف تستطيع أن تشعر به؟ لا يُتَكَلَّف، (لايمكن أن تقول أنا اليوم أريد أن أحب الله، بل لابد من الإحساس بهذا الحب)، المحبة ليست فعلاً من الأفعال، كيما تقول هذه العشية سأؤديها، لوكانت المسألة تتعلق بركعتين أوصيام يومٍ لكان الأمر سهلاً، تقول سأصوم غدا أوبعد غد أوكذا، أوأصلي ركعتين أوأقوم الليل، هذا عمل، ولكن المحبة إحساس، والإحساس لا يكتسب، أي لا يتكلف، إنما يوهب، أي يعطى لك. لا تستطيع إذا كنت حزيناً– عافاك الله من الحزن– أن تدخل السرور على نفسك بمحض جهدك... ما لم تأتك مواجيد السرور من عند الله، لا تستطيع. وكذلك إذا كنت مسرورا... ليس ثمة ما يقنطك إلا إذا جاءك ذلك من عند الله،... لأن هذه الأمور لست أنت من تباشرها، إنما تساق لك، أنت مفعول بك فى المشاعر ولست فاعلاً، ونسبة الفعل إلى الفاعل ههنا مجاز، ليس بحقيقة، الحقائق تكون فى الأفعال الكسبية: تقول مصل لأنك تصلي، صائم لأنك تصوم، تصوم فتصير صائما اسم فاعل، أنت فعلت الصوم، وكذلك فاسقٌ وكذلك مجرمٌ اسم فاعل لأنه هواقترف الجريمة، فى الخير وفى الشر سواء؛ لكن فى الشعور والمواجيد يعني الأحاسيس الداخلية، الفاعل فيها مجاز، وهي كلمة تطلق لتسهيل التواصل اللغوي وإلا فكل فاعل فى أمور المشاعر مفعولٌ به، شيءٌ ما سرك فصرت مسروراً...(وشيء ما حدث وأقنطك) فصرت حزيناً، فالحزن فعلٌ وقع عليك، ولست أنت الذى توقعه، وكذلك السرور، وكذلك الخوف، الخوف لا تدري من أين ركبك، لا تدري مداخله إلى نفسك، لأنك لاتقرر ذلك ابتداء، لا يمكن أن تقول هذا اليوم سأخاف من هذا الأمر، لا يمكن لا يقبله العقل ولا المنطق ولا الواقع، ولكن تفاجأ بنفسك خائفة، الخوف ركبك. كذلك الحب، أنت لاتأتي به، بل هويأتي بك، حينما قال الباري تعالى : ﴿والذين آمنوا أشد حبا لله﴾(البقرة 164)، فهويعبر سبحانه وتعالى عن شيءٍ وجده المؤمنون حقاً وهومحبة الله... فكيف يدركون ذلك؟ إنما يدركه المؤمن بجلب أسبابه، بما أن هناك أشياء تقع فتجعلك خائفا...حزينا،كذلك ثمة أشياء تقع فتجعلك تحب شيئاً. أسباب المحبة لله أن تتعرف على صفاته وأسمائه الحسنى، وعلى رأسها ﴿الرحمن الرحيم﴾... اسمان من أسماء المحبة سابقان على العذاب والغضب، نعوذ بالله من عذاب الله وغضبه.

خلق الله عز وجل الخلق بالرحمة، وخلقهم للرحمة، ورزقهم بالرحمة، وهداهم إليه بالرحمة، وطلب منهم جل جلاله من علاه أن يعبدوه بالرحمة، حتى إذا ضلوا وكفروا ناداهم بالرحمة، وجدد عليهم النداء بالرحمة، ووسَّعَ عليهم أبواب الرحمة، عسى أن يتوبوا. ولم يجعل لإنسانٍ البتة اليأس من رحمته حتى يُغَرغِرَ، أوتطلعَ الشمس من مغربها. فباب الرحمة هوأوسع الأبواب إلى الله عز وجل على الإطلاق

إبصار أنوار الرحمة الموهوبة سبيل محبته سبحانه

قلنا إن الله ما خلق خلقاً، ولا رزق رزقاً، ولا فعل فعلاً في أصل الخلق والتدبير الكوني، إلا لأنه سبحانه وتعالى يحب عباده قبل أن يفسقوا، وقبل أن يفجروا، عسى أن يدركوا ذلك، فيحبوا ربهم كما أحبهم ربهم، حتى إذا تعرف الناس على ربهم من خلال أفعاله الحسنى... ينقسمون آنئذ قسمين: قسم يعرف الجميل ويرد الجميل، يعرف الجميل لله، أنه سبقت إليه منه رحمته، ويرد الجميل بعبادة الله؛ وقسم آخر ينكر ويجحد، ولا يرد بل يرد بالعكس، وهذا هوالذي يستوجب عذاب الله ونقمته، ولكن قلنا قبل إن عذابه جل وعلا يمهل فيه عباده (إن الله يمهل ولا يهمل) يمهل أي يعطي فرصة عريضة للكافر وللفاسق وللشارد... وخلال هذه الفرصة التي هي العمر كاملا يرسل سبحانه رسائل الرحمة من الآيات المقروءة المنزلة من السماء، ومن الآيات المنظورة، ومن النوازل والحوادث التي تقع على الإنسان، وتقع حوله لوكان يبصر. كل ما يقع بجانبنا وفي محيطنا.. رسالة، ويجب أن نتساءل كل لحظة: ما معنى هذه الرسالة؟ المؤمن الذي يبصر ﴿فمن أبصر فلنفسه ومن عمي فعليها﴾(الأنعام 105) الذي يبصر الحياة حقيقة يدرك أن ليس ثمة أمر يقع عبثا أو بشكل عشوائى، أبداً! الله عز وجل يدبر الكون بحكمة، إذ من أسمائه الحسنى الحكيم، الفوضى في ملكوت ربي سبحانه لاوجود لها، في الكبائر من الأمور، وفى الدقائق الصغائر من الأمور، دل على ذلك "الرحمان الرحيم". الأمور الكبيرة يتصرف فيها الله عز وجل باسمه الرحمن، والأمور الصغيرة الدقيقة(...) يتصرف فيها الله عز وجل باسمه الرحيم، ماذا بقى بعد ذلك؟ لا شيء لا شيء،كل شيءٍ أحاط به الله عز وجل رحمةً رحمة، لاوجود لشيء لم يسيره ربي بالرحمة سبحانه وتعالى ولكن مع الأسف ياحسرة على العباد

وجودنا وما يتعلق به من بدايته إلى نهايته، مكفولٌ بأسمائه الحسنى سبحانه وتعالى أي رزقٍ يأتي من غير اسمه الرَّزاق؟ وأي حياةٍ تأتي من غير اسمه الحي؟ كل شيء يأتينا من أسمائه الحسنى، أي من الله ! جل وعلا، وأسماؤه: صفاته الدالة على كمال جلاله وعظمة سلطانه وتنزه جماله سبحانه وتعالى عن كل شيء

الرحمة باب الله الأول (تتمة)

الذين لا يبصرون... هذه الحقائق، ويجب أن نتأكد، لأنه إذا رآها المؤمن ببصيرته، حتماً سيحب ربه، لأن المحبة لا تنبع إلا عن رؤية ومشاهدة «أن تعبد الله كأنك تراه»(3) ماذا ترى؟ ترى نور الله عز وجل يرعاك ويحيطك من علُ، ومن تحت، وعن يمين، وعن يسار، ومن أمام، ومن خلف، ومن داخل، كما في الحديث: «اللهم اجعل في قلبي نوراً وفي بصري نوراً ومن فوقي نوراً ومن تحتي نوراً وعن يميني نوراً وعن شمالي نوراً ومن أمامي نوراً اللهم أعطني نوراً»(4) يعني يصير المؤمن محاطا بالنور، نور الرحمة الإلهية الربانية، كل شيء -ذكرنا هذا مراراً، ونعيده الآن في الرحمة- كل شيء، في الكون إلا وهوشعاع من أنوار أسماء الله الحسنى، أسماء الله الحسنى أنوار، هي أسماء لله وصفات له في نفس الوقت، بها سبحانه وتعالى يمد الكائنات كلها بأسباب الوجود، وبأسباب الرزق، وبأسباب الرحمة، وبكل أسباب الحياة والموت والبعث إلى آخره، **وجودنا وما يتعلق به من بدايته إلى نهايته، مكفولٌ بأسمائه الحسنى سبحانه وتعالى أي رزقٍ يأتي من غير اسمه الرَّزاق؟ وأي حياةٍ تأتي من غير اسمه الحي؟ كل شيء يأتينا من أسمائه الحسنى، أي من الله! جل وعلا، وأسماؤه: صفاته الدالة على كمال جلاله وعظمة سلطانه وتنزه جماله سبحانه وتعالى عن كل شيء.**

من أراد أن يرى شيئاً من هذا فلينظر إلى الأم من كل شيء، من الإنسان، ومن الحيوان، ومن الطير، ومن الحوت، ومن كل شيء، الأم عند الناس هي أرحم شيء موجود... الرحمة الشديدة التي أوتيت...ليست من تصرفها،إذ لا تصرف في الفطرة البشرية من قبل البشر -إطلاقاً-، كل تصرف في الفطرة البشرية موهوب من عند الله، .

الأم لاترحم طفلها تكلفأبدا، لايمكن. قلنا الرحمة شعور لا يكتسب وإنما يوهب، يعطى من عند ربى عز وجل، فالله سبحانه وتعالى برحمته، أعطى للأم شعاعاً من أنوار رحمته حتى يصان الطفل من التعدي والأذى. الدجاجة التي هي أضعف الخلق، تصير سبعا، حين تكون حاضنة على البيض أوعلى الكتاكيت، بالرحمة الإلهية. وكذلك سائر الخلائق الضعيفة التي تأكلها الوحوش والسباع، حين تكون والدة... تتحول إلى قوة غريبة بالرحمة التي أوتيت على ولدها، ورضيعها، هذه الرحمة التي في الأمهات جميعاً، ليست لهن، ليست لهن، هي رحمةٌ عاريةٌ، مستسلفة، تماماً، -ولله المثل الأعلى- كالمرآة التي تعكس نور الشمس... على الأرض أوعلى العين، فيقال أعمتني المرآة، والحق أن النور ضياء الشمس، والمرآة مستسلفته، ليس لها، بدليل أنها تحت جنح الظلام لاتعكس شيئا، ولله المثل الأعلى. كذلك الناس والخلائق في الرحمة إن هي إلا مرايا تعكس الرحمة الحق التى تنزل من عند الله عز وجل ﴿الرحمن الرحيم﴾، لايمكن للوجود أن يستمر لحظة واحدة، لوغاب عنه اسم "الرحمن الرحيم"، لأن هذا الاسم مرتبط بأصل خلقتنا، ولذلك جاء الحمد سابقاً عليه، ﴿الحمد لله رب العالمين﴾ لمه؟ "الرحمان الرحيم"؟ في معركة بدر، كان عدد الأسرى كبيرا، ورأى النبي ﷺ مع الصحابة امرأة مع الكفار أسيرة، أسرت في المعركة، رآها تبحث عن أطفال المشركين الصغار، وهم يبكون الأسرى، فتلقم من وصلته منهم ثديها، ترضعه وتهدئ من روعه، فتعجب الصحابة من عطفها على أطفال جنسها وقبيلتها.. فأراد النبي ﷺ أن ينبههم إلى التوحيد، هذا التوحيد الحقيقي، ليس توحيد الكلام، بل توحيد الفعال والسلوك، النبي ﷺ نبهم قال: لَلَّهُ، -الله عز وجل بالتوكيد- أرحم بعباده من تلك المرأة(5)؛ لأنه لوأراد الله عز وجل أن ينزع الرحمة من قلبها لنزعها، وفي القرآن، في آية عجيبة، تُشَدُّ إليها الرحال يقول الله عز وجل: ﴿واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه﴾(الأنفال 24)، عجيب!! ربي عز وجل قادر، وهذا أمر واقع، أن يفرق بين ابن آدم وقلبه، ما هوقلبه؟) عاطفته،...وذلك هوأشد العذاب، لأننا نحيا حقيقة برحمة ربنا سبحانه، قد نسمع عن ابن آدم أنه ذبح ابنه أوأباه، فنصاب بالهول، لمه؟ لأننا نقول هذا الجاني ليس في قلبه رحمة، ماذا حدث له؟ حيل بينه وبين قلبه، ربي فرق بينه وبين قلبه، فجعله أشد قسوة من الحديد، بحيث إنه لم يعد من حيث حقيقته بشرا، تحول من الطبيعة البشرية إلى طبيعة أخرى، ﴿يحول بين المرء وقلبه﴾(الأنفال 24)، حتى يقسوالإنسان فتبلغ به القسوة أن يطلب الأذى لنفسه...كم واحدا تراه يتجرع السم، فتتساءل مستغربا:ما باله؟ هذا حيل بينه وبين قلبه، قلبه صار ضدا له، ولا يكون ذلك كذلك إلا في الحالات الغريبة، ولذلك كان من أشد الغرائب أن يعذب الله الإنسان بالحيلولة بينه وبين قلبه، ولكن متى؟ حينما يخاطبه ربنا جل وعلا مرارا بالرحمة، ولا يستجيب، يسلبه سبحانه الرحمة التي أودعها في فطرته،فيصير أشد من الوحش، وأسوأ الخلق على الإطلاق فيكون الإنسان آنئذٍ شراً كله، ليس فيه ذرة من خير، يصبح شراً كله، فلا يليق به إلا جهنم والعياذ بالله، نسأل الله العافية. **الرحمات السارية في الكون الشاملة لجميع الخلق هي أشعة وأنوار، حين تتلقاها تصلك حتما بالمولى الكريم، وهذا الذي أريد لك أن تبصره، انظر إلى أحوال الرحمة السارية بين الناس وفى الناس، كيف يأكلون؟ كيف يُرزقون؟ كيف يعيشون؟ كيف يحيون؟ كيف يموتون؟ كيف يتدافنون؟ رحمات بعضها فوق بعض من الرحمن الرحيم، وابن آدم لاتصرف له في هذا كله**، كما قلنا نؤكد ونعيد لا كسب لك في الرحمة أيها المؤمن، بل أيها الإنسان، لا كسب لك في الرحمة، لاتقل صنعت بيدي وعملت بمحض جهدي في باب الرحمة، كل رحمة صدرت منك أووقعت عليك فهي هبةٌ من الله عز وجل إن أصابتك نفحاتها أوخرجت من عندك لا يعني ذلك أنها ملك لك، إنما هي هبة، هبة، لأنها حالة نفسية، وكما قال المربون الأوائل: "الأحوال مواهب"، حال تعتري الإنسان، الرحمة والأحوال مواهب توهب من الوهاب سبحانه وتعالى يهب عباده الخيرات والحسنات من الرحمات... هبات، هذه الهبة الربانية الكريمة حين يتذوقها الإنسان ويحس بها لا يجد إزاء ربه إلا المحبة، آنئذٍ يحس فعلاً أنه شعرٍ بأنه يحب ربه وهذا هوالإيمان الحق، ﴿والذين آمنوا أشد حبا لله﴾(البقرة 164)، الإيمان الحق أن تشعر فعلاً وتجد صدقاً أنك تحب ربك.

> **الرحمات السارية في الكون الشاملة لجميع الخلق هي أشعة وأنوار، حين تتلقاها تصلك حتما بالمولى الكريم، وهذا الذي أريد لك أن تبصره، انظر إلى أحوال الرحمة السارية بين الناس وفى الناس، كيف يأكلون؟ كيف يُرزقون؟ كيف يعيشون؟ كيف يحيون؟ كيف يموتون؟ كيف يتدافنون؟ رحمات بعضها فوق بعض من الرحمن الرحيم، وابن آدم لاتصرف له في هذا كله**

صحابي جليل، استشهد في إحدى الغزوات، وهويلفظ أنفاسه الأخيرة، قال لأحد الصحابة الآخرين: «أبلغ عنى رسول الله ﷺ السلام وقل له إني أجد ريح الجنة»(6)، هذا صحابي قُتِلَ في الجهاد.. لم يسلم الروح إلى باريها إلا بعد أن قال له: «سلم على رسول الله ﷺ وقل له إني أجد أي أشم رائحة الجنة»، يعني: حينما تشتم بحاستك السليمة رائحة الورد مثلا، يمنحك ذلك إحساسا معينا بالانشراح والفرح...، حب الله عز وجل من هذا القبيل، إن كنت تحب الله حقاً فستجده في قلبك، لا أن تشمه بأنفك، ستجده في قلبك، لأن موطن المحبة قلب الإنسان: ﴿والذين آمنوا أشد حبا لله﴾(البقرة 164)؛

---

1 - رواه البخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.
2 - متفق عليه.
3 - متفق عليه. البخاري رقم 50 / مسلم رقم 8.
4 - رواه مسلم من حديث عبد الله بن عباس، رقم 763.
5 - متفق عليه: البخاري رقم : 5999؛ مسلم رقم : 2754؛ ونصه : "قدم على النبي ﷺ سبي، فإذا امرأة من السبي قد تحلب ثديها تسقي، إذا وجدت صبيا في السبي أخذته، فألصقته ببطنها وأرضعته، فقال لنا النبي ﷺ : (أترون هذه طارحة ولدها في النار). قلنا : لا، وهي تقدر على أن لا تطرحه، فقال : «لله أرحم بعباده من هذه بولدها».
6 - رواه البخاري من حديث أنس بن مالك، حديث رقم : 4048، ونصه : أن عم أنس غاب عن بدر، فقال : غبت عن أول قتال النبي ﷺ، لئن أشهدني الله مع النبي ﷺ ليرين الله ما أجد، فلقي يوم أحد، فهزم الناس، فقال : اللهم إني أعتذر إليك مما صنع هؤلاء، يعني المسلمين، وأبرأ إليك مما جاء به المشركون، فتقدم بسيفه فلقي سعد ابن معاذ، فقال : أين يا سعد، إني أجد ريح الجنة دون أحد، فمضى فقتل، فما عرف حتى عرفته أخته بشامة، أوببنانه، وبه بضع وثمانون طعنة وضربة سيف ورمية بسهم.

إشراقة

باب الموعظة عند القبر

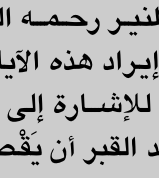

ذ. عبد الحميد صادوق

عن علي رضي الله عنه قال : كنا في جنازة في بقيع الغرقد فأتانا رسول الله ﷺ فقعد، وقعدنا حوله ومعه مخصرة فنكس وجعل ينكث بمخصرته، ثم قال : «ما منكم من أحد إلا وقد كتب مقعده من النار ومقعده من الجنة» قالوا : يا رسول الله أفلا نتكل على كتابنا؟ فقال : «اعملوا، فكل ميسر لما خلق له» وذكر تمام الحديث، متفق عليه.

هذا الحديث بوب له البخاري رحمه الله تعالى فقال : «باب موعظة المحدث عند القبر، وقعود أصحابه حوله» ثم ساق آيات في الترجمة وهي قوله تعالى : ﴿يخرجون من الأجداث﴾ وقوله تعالى : ﴿بعثرت﴾ وقوله تعالى : ﴿إلى نصب﴾ وقوله تعالى : ﴿ينسلون﴾.

قال الزين بن المنير رحمه الله تعالى : مناسبة إيراد هذه الآيات في هذه الترجمة للإشارة إلى أن المناسب لمن قعد عند القبر أن يَقْصُرَ كلامه على الإنذار بقرب المصير إلى القبور ثم إلى النشر لاستيفاء العمل.

الموعظة في المقبرة كما قال الزين بن المنير تقتصر على الإنذار بقرب المصير إلى القبور لتحريك الهمم إلى خير العمل وذلك في بلاغة وإيجاز، وحُسْنِ موعظة تأخذ الأسماع، وتستولي على القلوب، وتبلغ مبلغها في النفوس، فتثير فيها الرغبة والرهبة، بلا تقنيط من عفو الله ورحمته، ولا تأمين من مكر الله وعذابه، فعلى واعظ القوم في المقبرة أن يكون خفيف الظل ولا يثقل بكلام طويل ينسي آخره أوله فتظيع فائدة الموعظة في أجواء المقبرة التي هي الأنفع للمشيعين تردهم عن ذنب ومعصية، وتحركهم إلى طاعة وتوبة، وعلى الواعظ أن يكون في هيئة خاشعة يؤثر فيها بلسان حاله قبل التأثير بلسان قاله، فقد نكس النبي ﷺ رأسه عند موعظته، أي خَفَضَهُ إلى الأرض على هيئة الحزين المهموم، وجعل ينكت بمخصرته، وهي عصا صغيرة.

التوريث الدعوي

الحلقة الثانية

عمل الصدر الأول من المسلمين ومن بعدهم

د. محمد موسى الشريف

كان الصدر الأول من المسلمين يشيع فيهم التوريث في كثير من أمورهم، فهذا كتاب الله تعالى وقد ورثوا عمله خلفا عن سلف وكابرا عن كابر، وورثوا طريقة قراءته كذلك، وهذه أحاديث رسول الله ﷺ ورثوها بأسانيد متصلة، وقُل الشيء نفسه في الشعر الذي كان ديوانهم، ويتوارثونه جيلا بعد جيل، وكل ذلك قبل عصر التدوين وانتشار الكتابة والكتب، وهناك بعض الأمثلة المهمة في التوريث كانت منتشرة بينهم، فمن ذلك:

1- المدارس الفقهية :

كان الصحابة رضي الله عنهم قد تفرقوا في الأمصار، وكان عند بعضهم علم سمعه من رسول الله ﷺ ووعاه قلبه مع من وعاه، وبعضهم تفرد بعلم لم يكن عند الآخرين، فبثُّوا كل ذلك في الأمصار التي سكنوها، حيث التف حول كل واحد من أولئك الأطهار مجموعة من التلاميذ ورثوا علمهم فاستفادوا منه أيما استفادة، ومثلا على ذلك عبد الله بن مسعود رضي الله عنه(1) الذي استقر في الكوفة، وورث علمه جماعة كثيرة منهم علقمة(2) -وهو من أجل تلاميذه- والأسود بن يزيد (3) وغيرهما، وورث علم أولئك وغيرهم جماعة منهم إبراهيم النخعي(4) وورث علم إبراهيم جماعة أجلهم حماد بن أبي سليمان(5).

ثم جاء الإمام أبو حنيفة(6) الذي ورث علم كل أولئك حيث كان تلميذا لحماد وعليه تفقه. وأسس مدرسة للفقه في الكوفة، وما زال تلاميذه يتوارثون علمه إلى يوم الناس هذا.

وقل الشيء نفسه في المدارس المختلفة التي نشأت في زمان السلف كالمدرسة المالكية والشافعية والحنبلية.

2- الوصايا :

الوصية نوع من أنواع التوريث، حيث يوصي الرجل بما رآه نافعا وصالحا، وهي خلاصة تجارب، ومجموعة حكم إن صدرت من حكيم مجرب، والوصية من مثل هذا كنز يحافظ عليه، ويعتنى به.

وللوصايا أصل وسلف في كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ، فقد جاء في كتاب الله تعالى قوله جل وعز:﴿ذلكم وصاكم به لعلكم تذكرون﴾(الأنعام : 152).

وقال تعالى قاصا وصية بعض الأنبياء العظام :

﴿ووصى بها إبراهيم بنيه ويعقوب يا بني إن الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون﴾(البقرة : 132)(7).

ورسولنا ﷺ وصى صحابته بأمور مهمة فقال ﷺ: «أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة»(8).

ووصى ﷺ على فراش الموت: ب«الصلاة وما ملكت أيمانكم»(9).

وقد كثر اعتناء المسلمين من بعده ﷺ بالوصايا، وقد جرى عدد من أئمة المسلمين وساداتهم على الوصية التي تحمل خلاصة التجارب والحكَم، فمن ذلك وصية أبي بكر الصديقَ لعمر الفاروق رضي الله تعالى عنهما حيث قال له :"إني قد استخلفتك على أصحاب رسول الله ﷺ، وأوصاه بتقوى الله، ثم قال : يا عمر : إن لله حقا بالليل لا يقبله في النهار، وحقا في النهار لا يقبله بالليل، وإنه لا يقبل نافلة حتى تؤدى الفريضة، ألم تر يا عمر : إنما ثقلت موازين من ثقلت موازينه يوم القيامة باتباعهم الحق وثقله عليهم(10)، وحُقَّ لميزان لا يوضع فيه غدا إلا حق أن يكون ثقيلا.

ألم تر يا عمر : إنما خفت موازين من خفت موازينه يوم القيامة باتباعهم الباطل وخفته عليهم(11)، وحُق لميزان لا يوضع فيه إلا باطل أن يكون خفيفا.

ألم تر يا عمر : إنما نزلت آية الرخاء مع آية الشدة، وآية الشدة مع آية الرخاء ليكون المؤمن راغبا راهبا، لا يرغب رغبة يتمنى فيها على الله ما ليس له، ولا يرهب رهبة يلقي فيها بيديه(12).

ألم تر يا عمر : إنما ذكر الله أهل النار بأسوإ أعمالهم فإذا ذكرتهم قلت : إني لأرجو ألا أكون منهم، وأنه إنما ذكر أهل الجنة بأحسن أعمالهم - لأنه تجاوز لهم عما كان من سيئ - فإذا ذكرتهم قلت : أين عملي من أعمالهم(13).

فإن حفظت وصيتي فلا يكون غائب أحب إليك من حاضر من الموت ولست بمعجزه"(14).

3- الاعتناء بعلوم الأمم الأخرى وتوريثها توريثا صحيحا :

وهذا أعظم ما أسدته الأمة الإسلامية إلى الأمم الأخرى بعد إرشادها إلى الإسلام وإهدائه إياهم، وذلك أن الفاتحين الأوائل رضي الله عنهم وقفوا على علوم أمم متحضرة ماديا إلى درجة كبيرة، فمن ذلك الحضارة المادية المصرية والآشورية والكلدانية، والفينيقية والرومانية وغير ذلك من الحضارات، فقاموا بنقل كل ذلك تقريبا إلى اللغة العربية فأحسنوا(15)، ولم يكتفوا بنقله وتوريثه إلى الحضارة الأوروبية إبان عصر النهضة في الغرب كما يدعي بعض المستشرقين والمستغربين أن المسلمين كانوا جسرا فقط لنقل حضارة الأولين إلى الغرب، بل أضافوا إليه وهذبوه ووضعوا القواعد العلمية للاستفادة مما نقلوه، فبزغت لهم شمس حضارة سطع على الدنيا شعاعها زمانا طويلا، وكانت على الحقيقة السبب الرئيس لنهضة الغرب التي قامت على أنقاض الحضارة الإسلامية الرائعة التي فرط فيها أهلها تفريطا بينا، **فالمسلمون لم يورثوا الأمم الأخرى عقيدتهم الصافية فقط بل ورثوهم معها أسباب الحضارة ومفاتيح العلوم، لكن كثيرا من الأمم - لضلالها وبعدها عن أسباب الهداية - اكتفت بأخذ العلوم وقطف ثمارها، وضلت عن أسباب الهداية والرشاد عصبية وحمية جاهلية، والعياذ بالله.**

المسلمون لم يورثوا الأمم الأخرى عقيدتهم الصافية فقط بل ورثوهم معها أسباب الحضارة ومفاتيح العلوم، لكن كثيرا من الأمم - لضلالها وبعدها عن أسباب الهداية - اكتفت بأخذ العلوم وقطف ثمارها، وضلت عن أسباب الهداية والرشاد عصبية وحمية جاهلية، والعياذ بالله

1- أبو عبد الرحمن الهذلي، من كبار علماء الصحابة رضي الله عنهم، ومن السابقين الأولين. مناقبه جمة توفي سنة 32 بالمدينة رضي الله عنه. انظر "التقريب" : 323.

2- علقمة بن قيس بن عبد الله النخعي الكوفي. ثقة ثبت، فقيه، عابد. مات بعد الستين رحمه الله تعالى : المصدر السابق : 397.

3- الأسود بن يزيد بن قيس النخعي، أبوعمرو. مخضرم. ثقة، مكثر، فقيه. مات سنة 74 او 75 رحمه الله تعالى : المصدر السابق : 111.

4- إبراهيم بن يزيد بن قيس النخعي، أبو عمران، الكوفي الفقيه، ثقة. مات سنة 96 وهو ابن خمسين أو نحوها. المصدر السابق : 95.

5- العلامة الإمام، فقيه العراق، أبو إسماعيل بن مسلم الكوفي مولى الأشعريين، وأصله من أصبهان. كان أحد العلماء الأذكياء والكرام الأسخياء. له ثروة وحشمة وتجمل. توفي سنة 12 كهلا رحمه الله تعالى. انظر ترجمته في "سير أعلام النبلاء" : 5/231-239.

6- النعمان بن ثابت الكوفي، ابو حنيفة الإمام. فقيه مشهور. مات رحمه الله تعالى سنة خمسين ومائة وله سبعون سنة. انظر "التقريب" : 563.

7- جاء ذكر الوصايا في كتاب الله تعالى في قرابة ثلاثين موضعا.

8- حديث مشهور أخرجه الإمام أحمد وغيره رحمهم الله تعالى عن العرباض بن سارية رضي الله عنه، والحديث صحيح. أنظر "الفتح الرباني" 1/188-190

9- أخرجه الإمام أحمد عن أنس رضي الله عنه وأخرجه غيره والحديث صحيح. أنظر "الفتح الرباني" : 21/236.

10- أي شعورهم بقوته وعظمته ومن قيامهم به.

11- أي : سهولة إقدامهم عليه.

12- كأن المراد : ييأس، والله أعلم.

13- أنظر إلى تواضع خير الأمة رضي الله عنه بعد نبينا محمد صلى الله عليه وسلم

14- "الكامل" : 2/292-293. وهناك كتاب للإمام أبي حامد الغزالي بعنوان "أيها الولد" فيه بعض الوصايا النافعة، فانظره للاستزادة إن شئت.

مواقف وأحوال

من أعجب وأغرب ما قرأت من الأحوال، حال إمام الحرمين ووالده في مصَّة لبَن!

حقا، إن قصة أبي محمد عبد الله الجويني لعجيبة، وأعجب منها قصة ولده أبي المعالي عبد الملك بن عبد الله بن يوسف الجويني المشهور بإمام الحرمين، كان أبو محمد (الوالد) في بداية أمره نساخا للكتب بأجر معلوم، وكان معروفا بالخير والصلاح، وكان يتطلع إلى أن يكون له من صلبه علماء صادقون، فلما اجتمع له قدر من المال الحلال الخالي من أي شبهة، تزوج جارية موصوفة ومشهورة بالخير والدين والصلاح، وحرص أشد ما يكون الحرص على ألا يطعمها إلا الحلال الخالص، وحملت منه فولدت له ولدا سماه عبد الملك، وحرص على ألا يطعمه هو أيضا إ لا من الحلال الخالص، فأمر زوجته أن تحفظه من النساء حتى لا يرضعنه، وشدد عليها في ذلك.. خشية أن ترضعه امرأة لا تتحرى الحلال، أو لم يأذن لها زوجها فيدخل جوفه الحرام!! فكانت الزوجة حريصة على وليدها إلى أن حدث ما لم يكن في الحسبان، ولندع صاحب القصة يتحدث عن ذلك فيقول : «إن أمي اشتغلت في طعام تطبخه لأبي وأنا رضيع فبكيت، وكانت عندنا جارية مرضعة لجيراننا فأرضعتني مصة أو مصتين، ودخل والدي فأنكر ذلك، وقال : هذه الجارية ليست لنا، وليس لها أن تتصرف في لبنها، وأصحابها لم يأذنوا في ذلك وقلبني وفوَّعَني(1) حتى لم يدع في باطني شيئا إلا أخرجه، وقال : يسهل علي أن يموت ولا يفسد طبعه بشرب لبن غير لبن أمه» وعند ابن كثير «فأخذه الشيخ أبو محمد فنكسه ووضع يده على بطنه، ووضع أصبعه في حلقه، ولم يزل به حتى قاء ما في بطنه من لبن تلك المرأة».

هذه هي القصة الأولى، فانظر -رحمك الله- إلى حرص هذا الوالد على إطعام ولده من الحلال، وزواجه قبل ذلك بالحلال.

ثم انظر إلى غضبه الشديد، وإنكاره على تلك الجارية فعْلتها، واعتباره تصرفها بإرضاعها ولدَه حرا ما لأن أهلها لم يأذنوا لها.

ثم انظر إلى فعله بعد ذلك، حيث قلب الطفل وفوَّعه حتى أخرج ذلك من جوفه.

وانظر بعد ذلك إلى قوله «يسهل علي أن يموت ولا يفسد طبعه بشرب غير لبن أمه».

تأمل كل ذلك، وأترك لك حرية التعليق.

وأما الجزء الثاني من القصة فنسمعه من الإمام ابن السبكي رحمه الله، قال : «يُحكى أنه - أي إمام الحرمين- تَلَجْلَجَ(2)- مرة في مجلس مناظرة، فقيل له : يا إمام، ما هذا الذي لم يعهد منك؟ فقال : ما أراها إلا آثار بقايا المصة»!!

وأترك للإمام ابن السبكي التعقيب، قال : «فانظر إلى هذا الأمر العجيب، وإلى هذا الرجل الغريب، الذي يحاسب نفسه على يسير جرى في زمن الصبا الذي لا تكليف فيه» ثم أضاف «وهذا يدنو مما حكي عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه»(3). وما حكي عن أبي بكر رضي الله عنه، سنعرفه في العدد القادم بحول الله.

1- أخرج ما في بطنه.

2- تردد وتوقف قليلا.

3- انظر القصة في البداية والنهاية لابن كثير 12/509 طبقات الشافية لابن السبكي .5/168

ذ. امحمد العمراوي
من علماء القرويين
amraui@yahoo.fr

الإنسان خُلُق وعمل

أ.د. الشاهد البوشيخي (*)

إن هذا الدين الذي أكرمنا الله عز وجل به، هو منهاج للفكر والتفكير، ومنهاج للتعبير وللتدبير والتسيير... فهو منهاج لتدبير شؤون الحياة الفردية والأسرية والعامة. وليس المراد منه أن يكون مجموعة أفكار توضَع في خزانة العقل، أي في جانب من الدماغ لننفق منها في ظروف أو أوقات معينة، وإنما هو توجيهاتٌ ربانيةٌ، ورحمة متنزلة من الله عز وجل في كتابه لتحلَّ فينا قلباً وقالباً، لتحلّ فينا في الجانب النظري أولاً : في الفكر وفي العقل وفي القلب، ثم لتتحول إلى سلوك أو إلى لباس كما في قوله تعالى: ﴿وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ﴾(الأعراف:26).

إذن، الدين في طبيعته تطبيقي وليس نظرياً أو شيئاً فكرياً فقط، بل هو أعمال أو أفكار تظهر في سلوك وعمل، وهذا العمل نُعتبَر نحن منه ويُعتبَر الدين منه، أي يعتبَر من الدين التفكيرُ والتعبيرُ والسلوكُ والتدبيرُ... وبما أن طبيعة الدين هي هاته، كان أكمل المومنين إيماناً، أحسنهم خلقاً، وهذا يعني أن الذي لَبِس الدين، لابَسه الدين وخالطه فصار لباساً له فأصبح أحسن الناس، بل أكمل المؤمنين على الإطلاق

كان من أكمل المؤمنين فعلاً إذا صارت توجيهاتُ الدين -بصفة عامة- وتعاليمُه والرحماتُ النازلةُ من عند الله عز وجل ممثَّلةً فيه بنسبة عالية. أما الذي تمثَّل فيه الدين مائة في المائة، فقد كان واحداً هو رسول الله ﷺ، وقد شهد له الله عز وجل بذلك فقال: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾(القلم:4).

وشهادة السيدة عائشة رضي الله عنها كانت من هذا القبيل حينما سئلت عن خلُق رسول الله ﷺ؛ حيث قالت: «كان خلُقه القرآن»(رواه مسلم). إذن هو ﷺ جملةً، يساوي تطبيقياً القرآنَ الكريم، لأن القرآن حالٌ فيه بمعناه، وحَالٌ فيه بعمله.. وهذا العمل الذي يتكون من التفكير ومن التعبير ومن التدبير -بصفة عامة- عليه مدار الإنسان، أي إنه هو الإنسان، وليس الإنسان إلا عملاً فقط. وعندما يموت هذا الإنسان لا يساوي إلا مجموعة أعمال "صالحة" أو "طالحة". وهذه النقطة في غاية الأهمية، لأن الدين ذو طبيعة تطبيقية، وليس المقصود به هو الجانب النظري الذي يعتبَر أساساً فقط للعمل للآخرة.

إن الثمرة الحقيقة للدين هي العمل المحسوس في مجالات متعددة... وقد تجلت هذه الحقيقة مع سيدنا نوح عليه السلام عندما قال: ﴿رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ﴾(هود:45)، إذ نجد أن الله سبحانه وتعالى وعَد سيدَنا نوحاً بأن ينجي أهله في الوقت الذي رأى ابنه قد غرق، فيتساءل: ﴿رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي﴾ وأنت وعدتني بنجاة أهلي ﴿وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ﴾، وما دمتَ قد وعدتَ فأنت لم تخلف قطعاً، ولكن التفويض أدب النبوة مع الله سبحانه وتعالى، ولذلك قال: ﴿وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ﴾؛ حكمتك عالية وما فعلته قطعاً هو على مقتضى الحكمة، ولكن أريد أن أفهم يا رب؟! فأجابه سبحانه وتعالى: ﴿قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ﴾(هود:46)، وبتعبير آخر: أنت يا نوح عمل صالح، وأهلك هم الأعمال الصالحة وأصحابها هم أهلك، أي إذا وُجد من طينتك مَن ليس له عملٌ صالح فهو ليس من أهلك، لأن العمل الطالح ليس من جنس العمل الصالح.

إذن، الإنسان مجموعة أعمال، وإذا استحضرنا أيّ شخصية في التاريخ نجد هذه الحقيقة واضحة؛ إذا ذكرنا فرعون -على سبيل المثال- في القرآن، لا نرى طوله ولا قصره أو غلظه... ولكن نراه مجموعة من أعمال معينة هي التي تكوِّن فرعون. وكذلك موسى عليه السلام، فهو مجموعة أعمال معيَّنة تكوِّن لنا شخصيته في القرآن، وكذلك إبراهيم عليه السلام... فكل ذلك يدل على أن الإنسان هو عبارة عن مجموعة أعمال.

ومن أمثلة ذلك حوار نبي من أنبياء الله سبحانه وتعالى مع قومه وهو سيدنا لوط عليه السلام : ﴿قَالُوا لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يَا لُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمُخْرَجِينَ﴾(الشعراء:167)، فهم ينظرون إلى الفعل، وهو يجيبهم بالعمل: ﴿قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُمْ مِنَ الْقَالِينَ﴾(الشعراء:168)، ولم يقل "إني لكم من القالين"، بل أبرز العملَ الذي هو الأساس في الشخصية، وعليه المدار في الحياة والثواب والعقاب، بحيث لو افترضنا أنهم غيَّروا عملهم لتحوّل البُغْض إلى محبة ولمَا قال لهم: ﴿إِنِّي لِعَمَلِكُمْ مِنَ الْقَالِينَ﴾.

الدين سلوك لا دعوى

إن الإنسان في نظرة الدين عبارة عن مجموعة من الأعمال، حياً كان أو ميتاً، لأن العمل أساس الرابطة الإيمانية، وبناء كل شيء يتم عليه. إذن، الدين يتجه إلى الجانب التطبيقي بالدرجة الأولى، وهذا ما يراد من الإنسان؛ حيث لن يبقى بعد الموت إلا العمل. وعندما يوضع الإنسان في القبر، يرجع اثنان ويبقى واحد. يرجع ماله وأهله ويبقى عمله، ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾(الزلزلة:7). وإن صغر هذا العمل، بل نية كان أو تفكيراً أو هماً بالشيء... فكل ذلك له عند الله أجر.

إذن، الدين ذو طبيعة تطبيقية وينبغي أن يظهر في المؤمن سلوكاً لا دعوى، سواء كانت الطبيعة التطبيقية قولية أو إشارية أو غير ذلك... المهم أن يظهر الدين عملاً ملموساً فعلاً.

وقد ذكرنا جوانب ثلاثة يتجلى فيها هذا السلوك وهذا الخُلُق: جانب التفكير، وجانب التعبير، وجانب التدبير. أما الجانب التفكيري فهو في غاية الأهمية، لأن استقامة المنهج التفكيري الذي به نتلقى الأشياء ونعالجها ونُنْتج الأعمال في لحظة التفكير فيها والتخطيط لها، تؤدي إلى استقامة الفعل وطيب النتائج، وأهميته تأتي من كونه بداية الانطلاق، ثم عندما نريد إخراج ما فكّرنا فيه ينبغي أن يَخرُج بطريقة مرضية عند الله تعالى. ومن ضوابطها الكبرى قول رسول الله ﷺ: «مَن كان يؤمن بالله واليوم الآخر، فليقلْ خيراً أو ليصمت»(رواه البخاري). أنا وأنت نُنتِج "فعلاً" اسمه "القول"، و"القول" يدخل في العمل في النظرة الإسلامية؛ فقول الإنسان من عمله، وتفكيره من عمله الذي سيؤجر عليه.

العمل الذي يتكون من التفكير ومن التعبير ومن التدبير -بصفة عامة- عليه مدار الإنسان، أي إنه هو الإنسان، وليس الإنسان إلا عملاً فقط. وعندما يموت هذا الإنسان لا يساوي إلا مجموعة أعمال "صالحة" أو "طالحة"

الإذن من الشريعة والحكمة شرطا القول الصواب

إن القول الصواب في هذا الصدد يحتاج إلى شرطين: الإذن من الشريعة والحكمة.

الأول: ينبغي أن نفكر في القول قبل تصديره باللسان إلى المستهلك المتلقي أي المستمع، أو ينبغي أن نفكر فيه هل هو إذا وزنَّاه بالشريعة جائز قوله أو واجب أو مستحب أو على الأقل مأذون في قوله. نفكر فيه من هذه الجهة، ونفكر فيه من جهة الصواب ومطابقته للواقع والمناسبة، ونفكر فيه من جهة الباعث عليه، أي إن النية التي تقف وراءه تحتاج إلى التصحيح.

الثاني: ينبغي أن يكون صواباً، وكلمة "صواب" تعني المطابقة لأمرين: المطابقة للنصوص الشرعية من ناحية، بحيث لا تصادم الشرع، ومن ناحية أخرى المطابقة لمقتضى المقام؛ إذ لا تتم صوابية الأمر إلا بالإصابة في الناحيتين. فقد يكون الاجتهاد سائراً حسب مقاييس الشريعة، ولكن صاحبه وصل إلى ما ليس صواباً، لأنه لم يناسب ما ينبغي ولم يطابق ما ينبغي، أي لم يُصبْ المفصل بالضبط، فأصوبُ العمل يقتضي هذين الأمرين.

فإذن الفعل الذي ننتجه، أي القول الذي نقوله ينبغي أن يفكَّر فيه قبل تصديره، أي يجب أن نفكر هل هو بخير أو ليس بخير، أو هل يناسب المقام أم لا؟.. هذه نقطة مهمة قد لا يُلتفَت إليها. فليس كل كلمة مشروعة يمكن قولها في أي وقت وإن كان الكلام حقاً، وهذا أمر صريح في الشريعة. فسيدنا محمد ﷺ الذي هو رسول الله، ويتلقى عن الله، ولا أحد منّا يمكن حتى أن يقاربه، مع ذلك حين قال للسيدة عائشة رضي الله عنها: «لولا أن قومك حديثو عهدٍ بالإسلام، لبنيت الكعبة على قواعد إسماعيل»(رواه مسلم).

ها هو بيت الله الذي اسمه "الكعبة"، له أساس في الجانب الذي رفعه سيدنا إبراهيم عليه السلام، وفيه جانب كان سيدنا إسماعيل عليه السلام قد رفعه والذي يسمى الآن بـ"الحجر"، وحتى الحائط القصير الدائري هو من الكعبة. فأراد رسول الله ﷺ أن يرفع البيت على أصله الكامل، ولكن العرب حديثو العهد بالإسلام، أي في حالة ما إذا مس الكعبة وأحدث فيها ضرباً من التغيير قد تقع فتنة. فدرءاً لهذه الفتنة أوقف ﷺ هذا الحق والخير العظيم. إذن لابد من مطابقة السلوك والتصرف لمقتضى الحال. وهذا ما يسمى بالحكمة.

إذا اختل في القول شرطٌ من الشروط السابقة، أو لم يتبين لنا لا هو خير ولا هو غير خير وحرْنا فيه، فعندها نطبق القاعدة المعروفة للورع: «دَعْ ما يريبك إلى ما لا يريبك»(رواه الترمذي). يؤول الأمر في النهاية إلى أن مَن تمحضت خيريته، هو الذي ينبغي إنتاجه وقوله، وما لم تتمحض خيريته يُترَك جانباً.

وكلمة سيدنا عبادة رضي الله عنه تَصبُّ في هذا المعنى، فقد قال: "منذ بايعتُ رسول الله ﷺ ما تكلمتُ كلمة، إلا مزمومة مخطومة". ويعني أنه كان قبل ذلك يتكلم كما يتكلم الناس، لكن مع مجيء الإيمان أصبح الكلام عملاً وعليه ثوابٌ أو عقاب كما أخبر رسول الله ﷺ حيث قال لمعاذ بن جبل رضي الله عنه: «ثكلتك أمك يا معاذ، وهل يكب الناس على مناخرهم في النار إلا حصائدُ ألسنتهم»(رواه أحمد).

اللسان خطير، ولخطورته جعل الله سبحانه وتعالى له قفلين؛ قفل الأسنان،

وقُفل الشفتين، حتى لا يفتح عما يقال إلا بعد وزنه والتفكير فيه.

إذن، لا وجود للكلمة الحرة التي يمكن أن تخرج وحدها بدون ضابط وتفكير... فإذا كان العقل يسبق اللسان فلا خوف، وأما إذا كان اللسان يسبق العقل فهناك الخوف. ولذلك فالتسرع ليس من خصائص أتباع هذا الدين جملةً، لذلك قال رسول الله ﷺ لـ"أشج ابن عبد القيس: «إن فيك خصلتين يحبهما الله عز وجل، الحِلْم والأناة»(رواه مسلم)، والأناة السير بتمهُّلٍ.

المسلم في وضع الشهادة والحجة

إن الشريعة راعت مسألة التمهل في مناسبات مختلفة؛ راعتها مثلاً في المشْي: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْنًا﴾(الفرقان:63)، راعتها في تسيير الأمور: ﴿وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلاً﴾(الإسراء:106)، أي وقسَّطناه تقسيطاً: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلاَ نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً﴾(الفرقان:32)، أي مرة واحدة.

التمهل في كل الأمور مراعى لسيْر المتمهل الهادئ.. نعم، تأتي ظروف استثنائية تقتضي السرعة في التصرف، ولكن تلك الظروف استثنائية.

يطلب إذن، أن يكيف الإنسان سلوكه وفق الدين، أي أن يماشي السلوك على حسب الدين في جميع جوانب حياته، لأن المسلم ليس إنساناً عادياً، بل إنه في وضع الشاهد والحجة، والحجة لا تقام إلا إذا استجمعت شروطها. المسلم شاهد على الناس بما أنه من أمة سيدنا محمد ﷺ، فهو من موقع الشاهد على غيره في هذا الموقع.

فإذن هل الشهادة هي اللسان فقط؟ لا، اللسان عنده قيمة فقط في التبليغ، ولكن الشهادة الحقيقية تتم بوجود الشخص على هيئة معينة، أي على أنه ممثل للدين تمثيلاً صحيحاً، وإن لم يكن كذلك يمثل تنفيراً من الدين، والمطلوب أن يكون عنصر جاذبية. المسلم له جاذبيته بحكم تمثيله للدين وبحكم خلُقه، فإذا كان خلُقه غير الخُلُق الشرعي فهو يصد الناس عن الدين ويُنفرهم منه، أي يمنع الناس من الاقتراب من الدين. ونحن الآن على المستوى العالمي في هذا الموقع، فنمنع بقية العالم الذي ليس في العالم الإسلامي الذي لم يرث الدين، نمنعه من أن يدخل إلى الدين بسبب كوننا لسنا ممثلين للدين، لأننا لو طبّقنا لحصلت لنا القوة ولحصلت لنا الإمامة، وإذا حصل لنا هذا حصل لنا كمال الإيمان بإذن الله سبحانه وتعالى، وحصل لنا العلو وحصلت لنا السيادة ولم نبق في هذا الموقع الذي نحن فيه.

حَمْلُ العلم بدون عمل حجة علينا

إن الدين خلُقٌ، وهكذا ينبغي أن نفهمه، كما أن هذه الفقرة من الحديث النبوي الشريف تبيّن ذلك بوضوح: «كل الناس يغدو فبائع نفسه فمعتقها أو موبقها»(رواه مسلم)، «القرآن حُجَّةٌ لك أو عليك»(رواه مسلم). إنْ تحوّل العلم إلى عمل صار حجة للشخص وإذا لم يتحول إلى عمل صار حجةً عليه، ونرى الرسول ﷺ إذ يقول: «اللهم انفعني بما علّمتني وعلّمني ما ينفعُني وزدني علماً»(رواه الترمذي).

إن العلم حقيقة يقتضي اليقين، وإنه لا ينفصل عن السلوك، وإذا لم يوجد سلوك وفق هذا العلم انتفى العلم. فإذا وصلت المعلومة إلى الذهن واستقرت في القلب، أنتجت درجة اليقين الذي ينتج الطاعة المطلقة: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الألْبَابِ﴾(الزمر:9). إذن الذي هو قائمٌ آناء الليل ساجداً وقائماً يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه، هو العالم حقاً، وليس الذي يعرف كذا وكذا من الآيات والأحاديث ويقرأ عدداً من الكتب.

المهم هو عملية التحويل من الجانب النظري إلى الجانب السلوكي. فأثر عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه أنه لم يكن يأخذ كثيراً من الكلام من مجلس رسول الله ﷺ، بل يأخذ طرفاً قليلاً ثم يذهب ليحوّله، ويأتي ليأخذ طرفاً آخر. وقد أثر عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه أنه قضى ثماني سنوات وهو يتعلم سورة البقرة، أي يردها إلى واقع، ويجاهد نفسه في ذات الله سبحانه وتعالى لكي يحوّلها إلى واقع خاضع للتوجيهات القرآنية.

العَمل بالعلم هو الطريق لنشر الإسلام

لا قيمة لما يُعلم ما لم يحوَّل إلى عمل، وإن المسلم إذا أحسن العمل بما يعلم فقد مهّد السبيل لنشر دين الله عز وجل، ومهّد السبيل كل التمهيد لجعل الناس يُقبلون على الله وعلى دين الله سبحانه وتعالى وعلى كلمة الله سبحانه وتعالى. وإذا أساء التطبيق فساء الخُلُق، أبعدَ الناسَ عن طريق الله سبحانه وتعالى، لأنه في هذه الحالة يكون قد مثّل ضرباً من اللبس والإشكال. فلذلك كانت أهمية الخُلُق، الذي ألح عليه رسول الله ﷺ وأنزله تلك المنزلة الرفيعة فقال: «إن الرجل ليبلغ بحسن خلقه درجة الصائم القائم»(رواه أحمد).

حسن الخُلُق يشمل كل جوانب الدين

يشمل حسن الخُلُق كل جوانب الدين، وعلى رأس ذلك "الإيمان الحسن"، لأن الشرك سوء خلُق، أي إن الشرك الذي هو أكبر كبيرة موجودة في الدين هو عبارة عن سوء خلُق، لأن نعمة الوجود نعمة تستحق كل شكر، وإذا أضيفت إليها نعمة الإمداد بكل ما يحتاج إليه الإنسان من هواء يتمتع به، وشمس تدفئه، ومناظر تعجبه، ومأكولات تغذيه إلى غير ذلك مما لا يحصى من النعم، فكم تحتاج هذه النعم عندها من شكر؟.. هل الإنسان أوجدها؟ إذن هل يوجد شيء أقبح من الشرك؟..

قال تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ × الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلاَ تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾(البقرة:22-21)، وقال تعالى: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾(لقمان:13)، كما أن الظلم في العربية هو: وضع الشيء في غير موضعه.

وحسن الخُلُق مع الله عز وجل يشمل بالدرجة الأولى الإخلاص، لأنه هو المقابل للشرك. ففي صريح القرآن الكريم نجد أن الذي يقابل الشرك هو الإخلاص، وليست اللفظة السائدة التي تسمى "التوحيد" التي يُتكلم عنها كثيراً، والسبب هو طبيعة هذا الدين التطبيقية، لأن التوحيد يحيل على الجانب النظري ولا وجود له في كتاب الله عز وجل، بينما الإخلاص يُحيل على سلوك قلبي.

المسلم له جاذبيته بحكم تمثيله للدين وبحكم خُلقه، فإذا كان خُلقه غير الخُلُق الشرعي فهو يصد الناس عن الدين ويُنفرهم منه، أي يمنع الناس من الاقتراب من الدين. ونحن الان على المستوى العالمي في هذا الموقع، فنمنع بقية العالم الذي ليس في العالم الإسلامي الذي لم يرث الدين، نمنعه من أن يدخل إلى الدين بسبب كوننا لسنا ممثلين للدين

والإخلاص ليس فكرةً "قارة" في الدماغ، ولكنه ممارسةٌ للقلب البشري، أي سلوك ممارس وذاك الذي عليه المعول.

لأننا لما نقول لفظة الربوبية عملياً نكون قد استحضرنا ما هو آت من عند الله عز وجل إلى العبد من نعَم لا تُحصى؛ مثل الرحمة والخلُق والرزق... أي كل أسماء الله الحسنى التي تفيد بأن أشياء آتية من عنده سبحانه إلى العبد، فكلها تدخل في إطار الربوبية، أما الألوهية، فهي من عند العبد طالعةٌ وصاعدة إلى الله عز وجل، وثَمّ مكانُها، أي هل قلبُ العبد يتعلق بالله سبحانه وتعالى فقط أم به وبغيره أو بغيره فقط؟ لأن القلب هو محل الإخلاص ومحل الهوى أيضاً، ولذلك قال رسول الله ﷺ: «لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئتُ به»(رواه البخاري ومسلم).

يجب أن يطوّع الهوى للشريعة، والدرجة الرفيعة في هذا التطويع هي أن تجد حلاوة في ذلك: «ثلاث من كنَّ فيه وجد بهن حلاوة الإيمان؛ أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله عز وجل، وأن يكره أن يعود إلى الكفر كما يكره أن يقذف في النار»(رواه البخاري ومسلم)، وهذه درجة أخرى تسمى حلاوة الإيمان، والسعيد مَن وصلها.

إذن مقابل الشرك في كتاب الله عز وجل هو الإخلاص، والسبب هو طبيعة هذا الدين؛ العملية التطبيقية، لأن الإخلاص هو سلوك القلب وفيه تتجلى العبديَّة الحقيقية لله عز وجل، والعبودية الحقيقية ثمة. ولذلك هذه المنطقة (القلب) منطقة لا تُرى، وهي منطقة حرام على ما سوى الله عز وجل، «إن الله لا ينظر إلى أجسامكم ولا إلى صوركم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم»(رواه مسلم). وعلى هذا الشيء كان القلب هو الذي معه "الكلام"، لأن الجريمة تنبت نزغاً من الشيطان في القلب؛ في الأول تكون فقط طائفاً من الشيطان أي خاطراً أو نزغاً، ثم تتحول إلى فكرة، ثم إلى قول أو إلى فعل. فالإسلام يحاصرها في المهد، الإخلاص يحاصرها في منطقة التلقيح والنشوء في وسط القلب...

﴿وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾(فصلت:36)، أي انتقل إلى الله سبحانه وتعالى بسرعة واقطع على الشيطان الطريق، فإذا تم قطع الطريق عليه في القلب لم يبق له المرور إلى اللسان ثم إلى الممارسة السلوكية. وهذا السلوك القلبي -وهو الإخلاص- من أحسن الخلُق مع الله عز وجل.

حُسْنُ الخُلُق يشمل إحسان العلاقة بالله وبالناس

هناك حُسْن السلوك مع الناس بدءاً برسول الله ﷺ، وهناك حُسْن الخلُق مع النفس... فكيف لجميع هذه الصور (أي لحسن الخلُق) أن تكون في صورتها الممتازة؟ نعم، يجب أن تتحول كلها إلى لباسٍ في القلب، أي الإحسان في العبادة سواء في التفكير أو في التعبير أو في التدبير... ولذلك قال رسول الله ﷺ تعليما لمعاذ بن جبل رضي الله عنه وللمسلمين كافة: «لا تنسَ دبُر كل صلاة أن تقول: اللهم أعنّي على ذكرك وشكرك وحُسْن عبادتك»(رواه أبو داود). هذا الإحسان في العبادة كلمة جامعة كالخاتمة، والآخَران يمهدان لها على الرغم من أنهما منها... فحسن الخلُق هو الجانب المعتبر في الشريعة، وهو المعتبر عند الناس، وهو الذي يُشاهَد عند الناس.

أحْسِن إلى الناس تَسْتَعْبِد قُلُوبَهم

فطالما استعبد الإنسان إحسان

إن الإحسان بصفة عامة هو رأس الإيمان، وأكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلُقاً، كما أن هذا الإحسان هو المطلوب، أي إن الإنسان يحاول أن يجاهد نفسه في ذات الله تعالى لتزكو وتستقيم على أمر الله سبحانه وتعالى؛ تفكيراً وتعبيراً وتدبيراً... ويحاول كف أذاه عن الخلق بصفة عامة، وهو يكف أذاه بجميع أشكاله عن الناس، ويصبر على أذى الآخرين، ثم ينتج الخير ما استطاع إليه سبيلاً: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾(الحج:77).

(×) الأمين العام لمؤسسة البحوث والدراسات العلمية (مبدع).

منير شفيق ومسألة الكونية والخصوصية في مناهج البحث في العلوم الإنسانية

د. إبراهيم بن البو

لقد عرف الغرب، بعد أن تم إبعاد الرؤية الدينية عن التدبير السياسي والاقتصادي وا لاجتماعي، تصدعا هائلا في منطلقاته الفكرية، فنتج عن ذلك تعدد وتنوع في المناهج بتعدد التفسيرات الوضعية للإنسان والكون والحياة، وقد عبر عن هذا مؤرخ الفكر الغربي، لوي ورث، إذ يقول: "إن المراحل الماضية في تاريخ الغرب، تميزت بوجود إطار مشترك استطاع أن يقدم معيارا للتثبت من صحة الحقائق، أما العلم المعاصر فلم يعد نظاما كونيا شاملا ومشتركا، إنما هو بالأحرى يمثل مشهدا لساحة قتال تصطرع عليها أحزاب متنازعة، لكل فئة صورتها عن العالم"(1).

فكانت المناهج التي برزت للوجود: المنهج الفلسفي التحليلي والاستقرائي والمنهج الوصفي والتاريخي، إضافة إلى المنهج التجريبي والتطبيقي والمقارن، وكلها تنطلق من التصور المادي الوضعي، بعيدة بذلك كل البعد عن التصور الديني والميتافيزيقي.

ومما تجب الإشارة إليه، أن هذه المناهج المتعددة والمختلفة تندرج كلها ضمن ما يسمى" بالمنهج العلمي" الغربي الذي اعتمده الغرب في إبراز معارفه وعلومه، محاولا تعميمه على مختلف الأمم والشعوب، بدعوى علميته وعالميته، هادفا بذلك تشكيكها في مقوماتها الفكرية ومناهجها الخاصة، وتمرير إيديولوجيته الوثنية، وهذا كله من أجل تكريس التبعية الفكرية. غير أن بعض المثقفين أسقطوا هذه المناهج على التراث الإسلامي فاستخلصوا نتائج مسايرة للفكر الغربي مناقضة للفكر الإسلامي وخصائصه ومقاصده.

فما حقيقة المنهج؟ وما خصائصه؟

تعريف المنهج

جاء في لسان العرب: "طريق نهج: بين واضح. وهو النهج، قال أبو كبير:

فأجزته بأقل تحسب أثره
نهجا، أبان بذي فريغ مخرف

والجمع نهجات ونهج ونهوج، قال أبو ذؤيب:

به رجمات بينهن مخارم
نهوج، كلبات الهجائن، فيح

وطرق نهجة وسبيل منهج كنهج، ومنهج الطريق وضحه، والمنهاج كالمنهج... والمنهاج : الطريق الواضح"(2).

وجاء كذلك في القاموس المحيط: "النهج: الطريق الواضح كالمنهج والمنهاج"(3) فالمنهج إذن من الناحية اللغوية هو الطريق الواضح.

ولم يرد في القرآن الكريم لفظ منهج قط، وإنما وردت فيه كلمة قريبة منه ألا وهي كلمة "منهاج"، التي جاءت في قوله تعالى : ﴿لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا"(4) وقد فسرها ابن كثير بقوله: "أما المنهاج فهو الطريق الواضح السهل﴾(5).

بينما ذهب المهتمون بحقل العلوم الإنسانية في تعريفهم للمنهج، على أنه:"السبيل الذي يمكن أن يتطرق منه الباحث إلى الغرض الذي تهدف إليه تلك الدراسة أو ذلك البحث"(6). فهذا التعريف يبين مدى ارتباط المنهج بالهدف المرغوب فيه دون إلغاء المنطلقات التي يبدأ منها الباحث لتحقيق غرضه، وهذا ما يدل بوضوح على ارتباطه بالفلسفة والنموذج الذي قدمه ، وللبنية التي انبثق منها وللنسق الذي صدر عنه.

ورغم وعي بعض علمائنا ومعرفتهم بهذه الملحوظة المهمة، فإنهم إذا سمعوا أو استعملوا مصطلح منهج، انصرفوا به إلى تلك التحديدات والمفاهيم الغربية منذ المقولات اليونانية، إلى التقسيمات الغربية السائدة، غافلين أو متغافلين عن حقيقتين أساسيتين، أولهما: إن تلك المناهج انطلقت من أرض وفلسفة غربيتين تختلفان في مقوما لهما عن أرضنا وفلسفتنا، وثانيتهما أن الغرب لا يتوانى عن إرسال ذبذبات فكرية هدفها تعتيم صور إنتاجنا، ونسف الأهداف التي نخطط لبلوغها في تفوقنا العلمي والثقافي وبنائنا الحضاري، حتى نذوب في شخصيته ونسير وراءه في مقولاتنا وأفكارنا، وبالتالي نبتعد عن مصدر قوتنا ووحدتنا وسبيل نهضتنا وإشعاعنا ألا وهو تراثنا الإسلامي الغني.

وقد تنبه بعض العلماء لذلك، فعرفوا المنهج تعريفات، مراعين ضرورة ارتباطه بمقولات ونماذج منبثقة من تاريخنا وحضارتنا، ومنهم سيد قطب الذي يقول: "المنهج في الإسلام يساوي "الحقيقة" ولا انفصام بينهما، وكل منهج غريب لا يمكن أن يحقق الإسلام في النهاية، فالمناهج الغربية يمكن أن تحقق أنظمتها البشرية، ولكنها لا يمكن أن تحقق منهاجنا. فالتزام المنهج ضروري كالتزام العقيدة وكالتزام النظام في كل حركة إسلامية"(7).

ومنير شفيق واحد من أولائك الذين يعتقدون أنه "من الغفلة المزرية الاعتماد على مناهج الفكر الغربي وعلى إنتاجه"(8)، لأنه ينظر للمنهج انطلاقا مما يحققه من نماذج وما يقدمه من مقولات، لا من خلال سماته وقوانينه العامة، ولا من خلال التقنيات المنهجية، كتلك التي يطبقها علماء الاجتماع في أمريكا وأوروبا، كالمقارنة والملاحظة الدقيقة، والتي أبهرت الكثيرين فجعلتهم أكثر التصاقا بالمناهج الغربية، وبالتالي بمقولات الغرب ونماذجه، وإنما من خلال الفلسفة المصاحبة له والتي غالبا ما تكون مناقضة للفلسفة الأصل.

خصوصيات المنهج عند منير شفيق

إن غوص منير شفيق في الفكر الغربي وتتبعه لمساره حتى صار من منظريه، خاصة الفكر الماركسي، مكنه من التحقق ومعرفة خصوصيات المنهج، وقد حددها وحصرها في أربع خاصيات، هي:

أولا : ارتباط المنهج بالمقولات والنماذج التي ينتجها: " لأنه تشكل في أحشاء النماذج التي عالجها، واكتسى باللحم من خلال الموضوعات التي ولدها، وعلى سبيل المثال لا يمكن أخذ قوانين المنهج الهيجلي دون الهيجلية، أو أخذ المنهج المادي الجدلي دون الماركسية ككل، وأخذ المنهج الوضعي الأمريكي دون النموذج الأمريكي نفسه، كما من غير الممكن أخذ منهج مستمد من الإسلام والتجربة المجتمعية الإسلامية دون الإسلام ككل"(9). فكل فلسفة اصطنعت منهجا، وأي محاولة لنقد منهج معين في ما أنتجه بواسطة منهج آخر، مع البقاء على مبادئه وأسسه العامة، كانت تنتهي عمليا بالانفصال الكلي عن المنظومة الأولى وإقامة منظومة أخرى ذات موضوعات أخرى، وهذا ما حدث فعلا عندما نقد ماركس النموذج الهيجلي بمنهج مادي، حيث نتج عن ذلك أن انقلبت الجدلية من المثالية إلى المادية، وقد اعترف ماركس نفسه بهذا، إذ يقول:" إن أسلوبي الدياليكتيكي ليس مجرد أسلوب مخالف لأسلوب هيجل، وإنما عكسه تماما"(10). بل أكثر من ذلك، فإن المنهج أسير لهذه المقولات وتلك النماذج، لذلك نراه يحاول إعادة تشكيلها وإنتاجها حيثما عمد إلى دراسة نمط اجتماعي أخر غير ذلك الذي أنتجه، فمثلا «المنهج الذي تكون عبر دراسة النمط الحضاري الأوروبي، أو النمط الرأسمالي يحمل لا محالة هذا النمط، فيحاول إعادة إنتاجه بصورة مباشرة، حيثما تدخل في دراسة نمط، أو حالات لحضارة مختلفة»(11).

ثانيا : تشكل المنهج من مقولات سابقة: وهذا لا غرابة فيه، لأن أي منهج فكري لا ينتج من فراغ، بل من أفكار سالفة وتصورات ماضية، ويؤكد منير شفيق هذا بقوله: "فإذا كان المنهج نتاجا لنمط حضاري معين، إذا كان قد أنتج بدوره مقولات مجددة، فإنه يتشكل من خلال تداخل متواصل بينه وبين مقولات سابقة"(12).

ثالثا : ضرورة عدم إدعاء موضوعية المنهج أو علميته المجردة: لأن موضوعية المنهج لا تثبت من خلال ما يحمله من مبادئ وتقنيات فحسب، وإنما من خلال ما يحمله من تصورات وأفكار وهذا هو الأهم. وأهمية هذه النقطة الأخيرة، يمكن إبرازها من خلال إطلالة "المناهج العلمية: الغربية على الإسلام، والمجتمعات الإسلامية لا من خلال المبادئ العامة والتقنيات المنهجية كالترابط والتراكم والتغيير الكمي والتناقض أو الملاحظة والتجريب، ولا من خلال دراسة موضوعية لهذه المجتمعات بواسطة مفكرين موضوعين، يدخلون إلى هذه الدراسة عقولهم بيضاء تستقبل الأشياء كما هي وإنما من خلال مقولات وتصورات مستقاة من المجتمعات الأوروبية، حول الدين والطبقات والأمم والاقتصاد، وإسقاطها على هذه المجتمعات، وهذا ما دفع بمنير شفيق للقول بأن «المسائل الأكثر تأثيرا بالنسبة للمنهج أي منهج هي ما يتحمل من معارف وموضوعات ونماذج ، لأن هذه هي التي تقرر علمية أو لا علمية منهجه في نهاية المطاف، فكل منهج يقوم على أرض فلسفية معينة، وكل منهج يحمل في شراينه وخلاياه موضوعات ومقولات ونماذج حول الدين والفلسفة والأمة والفكر والثقافة والاقتصاد والطبيعة والكون والأخلاق والقيم وما إلى هنالك»(13).

رابعا : ضرورة عدم ادعاء عالمية المنهج: إذا كان المنهج -كما رأينا- مرتبطا ارتباطا وثيقا بالنمط المجتمعي الذي يترعرع فيه من جهة وبالتاريخ والتراث الحضاري الذي يشب فيه من جهة أخرى، فإنه لا يمكننا اعتباره إلا جزءا فقط من أجزاء أخرى تمثل بدورها مناهج أنماط اجتماعية أخرى ذات تراث وتاريخ حضاري مختلف ومتنوع أشد ما يكون التنوع، من هذا المنطلق يتأكد صدق منير شفيق في قوله: «ولما كانت تلك المعايير والمقاييس نتائج حالة جزئية هي الحالة الأوربية لم تستطع التحول إلى ما هو عام وكلي بالرغم من كل ادعاء حملته العالمية والعلمية»(14). وخلاصة الأمر: إن كل منهاج خاص بالارض التي أنبتته والمجتمع الذي ولد فيه، لذلك فهو يحمل في طياته أفكاره وتصوراته ومقولاته ونماذجه.

---

1 - مجلة المنعطف ع 9 ص 89 من مقال:"العلوم الإنسانية في المنظومة الغربية: دراسة نقدية في الأسس المنهجية" ذ. محمد أمزيان.

2 - " لسان العرب" للإمام أبي الفضل جمال الدين محمد مكرم ابن منظور الإفريقي المصري. ص 383.

3 - القاموس المحيط للعلامة مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز أبادي الشيرازي.ص 67.

4 - سورة المائدة الآية 50.

5 - إسماعيل ابن كثير القرشي "تفسير القرآن العظيم" ج 2، ص 65.

6 - مجلة " الفكر العربي " ص 10، من مقال "إشكالية المنهج: منهج واحد أم مناهج عدة؟" ذ.ماجد فخري.

7 - سيد قطب " معالم في الطريق" ص 51.

8 - نفس المصدر ص 148.

9 - منير شفيق " الإسلام في معركة الحضارة" ص 159.

10 - عماد الدين خليل "التفسير الإسلامي للتاريخ" ص 42.

11 - منير شفيق " الإسلام في معركة الحضارة" ص 160.

12 - منير شفيق " الإسلام في معركة الحضارة" ص 160.

13 - منير شفيق : الإسلام في معركة الحضارة " ص 161

14 - مجلة المنعطف ع 9 ص 84 من مقال " العلوم الإنسانية في المنظومة الغربية: دراسة نقدية في الأسس المنهجية" ذ. محمد أمزيان

قسيمة الاشتراك

الإسم الكامل : .....

العنوان الكامل : .....

.....

الاشتراك السنوي (20 عددا) :

- داخل المغرب : 60 درهما.
- خارج المغرب :

20 أورو أو مايعادلها.

ترسل الإشتراكات باسم :

- جريدة المحجة عن طريق الحوالة البريدية.
- أو **جريدة المحجة** على حساب وكالة البنك الشعبي (الموحدين -فاس) رقم : **2111113412900014**

أما قسيمة الإشتراك والتوصيل فيبعثان إلى مقر الجريدة، على العنوان التالي :

جريدة المحجة (قسم الاشتراك) :

حي عز الله، زنقة 2 رقم 3 - الدكارات

فاس - المغرب

أزمة وحدة السودان: حيثيات وتداعيات

د. الطيب الوزاني

تقديم

تعتبر وحدة الدولة في الفكر السياسي رمز السيادة فلا وحدة إلا بالسيادة ولا سيادة من غير وحدة ، وكل دولة تعرضت وحدتها للمس والتهديد فهو مس وتهديد لسيادتها ونيل من استقلالها، ولعل من أخطر الأزمات والصراعات التي يعاني منها العالم المعاصر هو النزاعات المتعلقة بالصراعات الداخلية أو التدخلات الأجنبية التي تسعى إلى تقويض وحدة البلد وزعزعة استقراره ودعم حركات التمرد والاستقلال، كما كان لمبدأ حق الشعوب في تقرير مصيرها أثره في انتشار وعي كثير من الأقليات بحقوقها السياسية والثقافية والاقتصادية وحقها في تقرير مصيرها.

ولئن كانت مرحلة الاستعمار قد عرفت حركة كثير من الشعوب لنيل استقلالها وترسيم حدودها لكن ذلك تم وفق مصالح الدول الكبرى وتوازناتها مما ترك آثاره السلبية على استقرار هذه البلدان المستقلة إلا أن الموجة الحالية التي تزامنت مع نظام العولمة واتساع الحاجة إلى مصدر الطاقة والأسواق، وتوسيع الوعي العالمي بحقوق الشعوب والأقليات في تقرير مصيرها - وإن كانت هذه الحقوق قد أصبحت سيفا ذا حدين- ، مع ما حدث في بنية النظام الدولي من تغير في موازين القوى الدولية والفاعلين فيه، إضافة إلى ما ترتب عن الحرب على الإرهاب الذي أصبح يعادل في المخيلة الغربية الحرب على الإسلام، كل هذا وغيره أدى إلى إعادة ترسيم المشهد الدولي عبر إعادة تفكيك كثير من الدول وتكوين كيانات جديدة تخدم المصالح الجديدة وفق التوازنات الجديدة.

والسودان واحد من الدول المستقلة حديثا والتي ظلت وحدته الوطنية منذ استقلاله غير مستقرة، وفي العقود الأخيرة دخلت وحدة السودان وسيادته على أقاليمه منعطفا خطيرا مالت كل مؤشراته نحو التفكيك والتقسيم، وأصبحت مسألة انفصال جنوب السودان مسألة وقت فحسب،كما يمكن أن تتطور مسألة دارفور إلى نفس المصير إذا لم تعالج الأمور قبل فوات الأوان، وأصبح خطر التفكيك يهدد السودان ويقف حجر عثرة أمام سيادته وأمنه واستقراره وأمام كل مخططات البناء والتنمية. فما هي حيثيات الوضع السوداني؟ وما هي الكيانات والجهات الفاعلة فيه؟ ثم ما هي تداعيات استمرار أزمة الوحدة السودانية محليا وإقليميا ودوليا؟

أولا في الحيثيات

يصعب فهم أزمة النزاع في السودان ما لم يتم استحضار مجموعة من المعطيات المتداخلة سياسيا واقتصاديا واجتماعيا ودينيا وعرقيا، وفي تفاعلاتها التاريخية داخليا وخارجيا، وفي هذا السياق يمكن عرض مجموعة من الحيثيات التي تفاعلت في إفراز أزمة الوحدة والهوية والسيادة في السودان وتعميقها إلى هذا الحد.

أ- التنوع العرقي واللغوي والديني والمذهبي:

إذا نظرنا إلى التركيبة العرقية واللغوية والدينية والمذهبية للسودان وجدناها تركيبة يطبعها التنوع والتعدد، والتداخل والتضاد، والتمازج والتباين؛ ولئن كان السودان عبر تاريخه الإسلامي استطاع الحفاظ على هويته ووحدته واستقراره عبر الاندماج والانصهار العرقي داخل الدائرة الإسلامية إلا في حالات نادرة، فإن الوضع تغير أكثر مع المرحلة الاستعمارية وما بعدها، حيث عمل على تأجيج النزعات العرقية والدينية والمذهبية ونشر المسيحية والنزعات الأفريقانية لمحاربة الإسلام والعروبة وزرع عوامل تفتيت السودان، وتقدر الدارسات أن السودان يضم حوالي 56 جماعة عرقية تتوزع على 597جماعة فرعية، ومن الناحية الدينية يعرف السودان ديانتين كبيرتين هما المسيحية والإسلام يقسمان البلد إلى شمال مسلم 100/100 وإلى جنوب ذي أغلبية مسيحية، ومن الناحية اللغوية يتسم السودان بتعدد لغوي كبير إذ يقدر أن عدد اللغات واللهجات يصل إلى 115 لغة ولهجة يطبعها التباين والانفصال أحيانا والتداخل والتمازج أحيانا أخرى.

يضاف إلى ما سبق التعدد المذهبي والإيديولوجي الذي فرض نفسه كواقع لا يمكن القفز عليه -خلال مرحلة الاستعمار وما بعده- مثل المذاهب العلمانية، ليبرالية واشتراكية وشيوعية متطرفة وقومية وتبشيرية. كما كان للانشقاق الذي حدث في صفوف الحزب الحاكم وخروج جبهة الإنقاذ في شخص الدكتور حسن الترابي إلى المعارضة إلى أن تأخذ حركة العدل والمساواة زمام المبادرة في التمرد والمطالبة بحقوق أوسع في إقليم دارفور على غرار ما تحقق في الجنوب.

كل ذلك ظل يغذي -وبالتدريج - نزعات التمرد والانفصال ويعقد مسألة الوحدة الوطنية ويجعل الحديث عن الهوية السودانية أمرا معقدا، خاصة في ظل غياب استراتيجية وطنية لاستيعاب الجميع وغياب إرادة جماعية في التوحد، وهيمنة النزعات القبلية والعرقية الضيقة التي تجعل من الولاء للقبيلة سلطة مادية ورمزية لاشعورية أكثر تحكما في سلوك الأفراد والجماعات من الدولة ومؤسساتها، وفي ظل تغلغل النفوذ الخارجي وتداخل المصالح الإقليمية والدولية بات عسيرا الحديث عن هوية موحدة ومتعايشة في ظل دولة وطنية قوية وعادلة.

ب- ضعف الحكومات المركزية وغياب العدل في توزيع الثروات والتنمية:

مما عمق أزمة الوحدة في السودان أيضا ضعف الحكومات المركزية في الشمال في بسط نفوذها على كامل التراب السوداني الذي تترامى أطرافه، وعدم إدارة السلطة بين أبناء السودان بشكل عادل سواء في توزيع السلطة أم في توزيع الثروة، مما جعل مناطق الشمال تستفيد من مشاريع التنمية بشكل أوسع من بقية مناطق السودان التي شهدت تهميشا حتى في أقسى ظروف الجفاف وشدة الحاجة إلى التنمية، مما ولد تفاوتا واضحا بين مناطق البلد الواجد ففي دارفور مثلا يرى الدكتور عبد العظيم محمود حنفي:" أن عملية التنمية كانت معتقلة حيث إن حصة الإقليم من المشروعات الحديثة الصناعية والزراعية تكاد تساوي صفرا"(دارفور وصراع القوى الكبرى: د.عبد العظيم محمود حنفي، مجلة العسكرية كلية الملك عبد العزيز، ع:96 ، مارس 2009 صص-66 69)، كما يشير د. بهاء الدين مكاوي إلى أن واحدا من مظاهر أزمة الهوية في السودان اختلاف مستوى التنمية بين الأقاليم المختلفة معتبرا ذلك من الأخطاء التي ارتكبتها الحكومات الوطنية في مرحلة ما بعد الاستقلال(التنوع الإثني والوحدة الوطنية في السودان: د. بهاء الدين مكاوي، مجلة السياسة الدولية، ع: 176 أبريل 2009، صص248-244).

هذا التهميش هو الذي غذى كثيرا من نوازع الحقد بين الشمال ومناطق التوتر في الجنوب والغرب التي تشعر بالغبن رغم كونها أهم مناطق السودان ثروة معدنية ومائية وحيوانية.

ج- التدخل الإقليمي والدولي وتداخل المصالح:

إضافة إلى العوامل الداخلية السالفة ساهمت العوامل الخارجية المتمثلة في تصادم مصالح الدول الكبرى من جهة وفي تقاطعها مع مصالح دول الجوار الإقليمي لدولة السودان، إضافة إلى تأثير المنظمات الدولية العاملة في السودان ومحيطه.

فعلى المستوى الدولي تتصادم مصالح كل من فرنسا وبريطانيا باعتبارهما البلدين اللذين تنافسا على الاستعمار في المنطقة منذ زمن مبكر إذ كانت منطقة حوض النيل ومنطقة القرن الإفريقي منطقة صراع قوي بين فرنسا وبريطانيا منذ المرحلة الاستعمارية إلى اليوم، كما أصبح تزايد المصالح الأمريكية وتزايد حاجتها في التدخل في المنطقة بدعوى الحرب على الإرهاب واتهامها للنظام السوداني بحماية الإرهاب ورعايته وتصنيفها للسودان ضمن دول محور الشر إضافة إلى ما أعلن من وجود ثروة نفطية ومعدنية في دارفور وجنوب السودان كل هذا يقوي صراع مصالح الكبار في السودان ويفرض تدويل أزمة السودان تلقائيا، إلى جانب هذا يمكن رد الحضور الأمريكي القوي في المنطقة إلى أمور أخرى إضافية أهمها:

أولا- مقاومة المد الإسلامي في المنطقة ومحاصرة عمل الجماعات الإسلامية ولو في صورها الخيرية والإنسانية أو في توجهاتها المعتدلة.

ثانيا- الخوف من اكتساح الصين إفريقيا واتساع استثماراتها فيها خاصة في السودان الذي توجه نحو الصين في مشاريعه التنموية بعد تصدع علاقاته بالغرب.

ثالثا- إيجاد قواعد عسكرية خلفية لدعم وجودها العسكري في الشرق الأوسط وحماية مصالحها الاستراتيجية وحلفائها في الشرق الأوسط خاصة إسرائيل التي توجهت منذ فترة مبكرة إلى حماية أمنها الإقليمي عبر توسيع دائرة حلفائها من غير العرب المسلمين ، وهذا ما يفسر الحضور القوي للاستخبارات والاستثمارات الصهيونية في إثيوبيا وجنوب السودان ودارفور حاليا وفي كينيا وأوغندا وإفريقيا الوسطى وغيرها من المواقع، وفي هذا السياق نفسه يمكن فهم الموقف الصهيوني الداعم للحركة الشعبية لتحرير السودان ومطالبها الانفصالية.

وعلى المستوى الإقليمي فإن علاقة السودان بدول الجوار تتسم بالمد والجزر والتقارب مع بعض المحاور والتباعد من أخرى خاصة الدول التي تتماس في حدودها مع حدود السودان، وفي هذا السياق نشير إجمالا إلى أن توتر العلاقات بشكل مستمر مع إثيوبيا (الحليف الاستراتيجي لحركة انفصال الجنوب) يعقد الوضع في الجنوب كما أن النزاع المستمر بين السودان وتشاد وسوء التفاهم مع النظام الليبي وجمهورية إفريقيا الوسطى يجعل حل مشكلة دارفور بين الأطراف الداخلية دون أطراف الجوار الإقليمي من باب تضييع الوقت ودخول البيوت من غير أبوابها، بل إن النزاع بين هذه البلدان ما هو إلا نزاع بالوكالة عن الدول الكبرى كما يرى كثير من المراقبين.

أما على مستوى عمل المنظمات الدولية فيلاحظ أن لها تأثيرا في زعزعة استقرار السودان إذ تركز معظم أنشطتها في المناطق النائية والفقيرة ، وهي تعمل إما في شكل منظمات واضحة مثل المجلس الوطني للكنائس والخدمات العالمية لليهود الأمريكيين والفرنسيين، أو في شكل أشخاص يعملون في منظمات دولية لها ارتباطات بجهات معادية مثلما تشير أصابع الاتهام إلى ديفيد روبنشتاين الرئيس السابق لتحالف إنقاذ دارفور الذي يذكر أن له ارتباطات بجهات دولية أمريكية مشكوك في أهدافها. كما لا يمكن إغفال الدور الذي قام به المدعي العام أوكامبو في تقريره ضد النظام السوداني ورفع مذكرة اعتقال في حق عناصر من هذا النظام -وعلى رأسها الرئيس السوداني عمر البشير- واتهامها بالتورط في جرائم حرب ضد الإنسانية في وقت يتم فيه التغاضي عن جرائم أفظع كما هو الحال في جرائم إسرائيل في غزة وجرائم الأمريكيين في العراق وأفغانستان.

ثانيا في التداعيات

إن تعقد الوضع في السودان بهذه الدرجة يشير إلى صعوبة إيجاد حلول نهائية من شأنها تحقيق الأمن والاستقرار والاستقلال وانطلاق قاطرة التنمية في المنطقة، سواء أنتهى النزاع في جنوب السودان إلى استقلاله أم استمر هذا النزاع، فإن ذلك سيدفع السودان إلى دوامة أخرى من العنف والنزاع المسلح، وسيشجع كثيرا من المناطق على التمرد والمطالبة بالاستقلال خاصة إذا أصبحت المنطقة مفتوحة لتجار الأسلحة وجماعات التطرف الديني والعرقي والإيديولوجي محليا ودوليا. وهو الأمر الذي ستتسع دائرة تداعياته إلى دول الجوار ويمكن أن يؤثر ذلك على مصالح الدول الكبرى نفسها في المنطقة ويدفع إلى مزيد من العسكرة والتدخل المباشر الذي لن يزيد الوضع إلا تعقيدا وسوءا، ولن يكون ضحاياه إلا الأبرياء والفقراء، ولن يكون الخاسر فيه إلا الدول الفقيرة والكيانات الصغيرة رغم أن الخسارة يمكن أن تلحق الجميع.

من أوراق شاهدة

ذة. فوزية حجبي
al.abira@hotmail.com

عن سيريلانكا التي في القلب سأحكي
من يدعو غابرييل غارسيا ماركيز بل من يدعو الناس كافة؟

جلسنا على الحصير البارد عصرا بمركز كولومبو الدعوي حيث كانت القاعة التي ضمتنا شديدة البساطة بأفرشة قليلة ودون أدنى بهرجة، وبلا شك كان ذلك التأثيث بعينه مقصودا لمحاصرة إشراف النفس، جلسة تدبر وخشوع استحضرنا فيها حديث رسول الله ﷺ : «وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده».

وأي تجمع يذكر فيه عمل رسول الله ﷺ وجهده وتمثله لتعاليم الرسالة الإسلامية الواردة في خطاب الله عز وجل بكل الصدق والأمانة وبكل التضحية ولا تتنزل على أفراده السكينة؟

ولقد كانت جلسة استماعنا إلى الشيخ في كل محطاتها بمثابة زخات إيمانية تحريضية للنفس الأمارة بالخمول لحثها على المجاهدة لإحياء فكر وعمل الأولين الذين بذلوا كل التضحية لجني ثمار الإيمان وإذ ذاقوا عرفوا وإذ عرفوا غرفوا، مقدمين الغالي والنفيس ليبقى البستان النبوي يانعا بين ظهرانيهم، وإذ تكاسلنا وغرنا بالله الغرور وركننا إلى متاع الدنيا الزائل لم نجن إلا سرابا بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئا.

هكذا تكلم الشيخ السيريلانكي مرددا قولة الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه : (من سره أن يكون من تلك الأمة فليؤد شرط الله فيها ثم تلا قوله تعالى : ﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس﴾.

والشرط معروف بلا شك وهو شرط الجهد للدين المذكور في قوله تعالى : ﴿التائبون العابدون الحامدون السائحون الراكعون الساجدون الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر والحافظون لحدود الله وبشر المومنين﴾.

ومادام الشوق إلى هذه الخيرية هو شوق عواطف كما في حالنا، فيبقى شوق خوالف، فإذا ما انتقل من العواطف إلى الأقدام المرافقة بالحزم والإقدام قيض الله للسالكين بلوغ المرام، وسبحانه وتعالى القائل في محكم التنزيل : ﴿أومن كان ميتا فأحييناه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها﴾(الأنعام : 112) إن المولى عز وجل حين ذكر هذا النور (ويقصد به كما جاء في كتب التفسير كتابه العزيز) لم يكتف بجعل عنصر الحياة خاصا بالمخاطب، بل أنيطت بهذا المخاطب مهمة المشي بهذا النور في الأرض لتحقيق الحياة المرغوبة عند الله عز وجل : حياة الدين .

قال تعالى : ﴿والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين﴾.

لقد خاطب الله عز وجل رسوله ﷺ في سورة المدثر، إيذانا بميلاد الحركة الراشدة في قوله تعالى : ﴿يا أيها المدثر قم فأنذر﴾، حركة القيام في كل الاتجاهات عضويا وجغرافيا لتبليغ رسالة الله عز وجل وحركة الاصطفاء والتكليف، الواردة في خطاب المولى سبحانه للمؤمنين بقوله:

﴿وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا﴾(البقرة : 143) ولولا نفرة الصحابة خفافا وثقالا لما بلغ الدين هذا المبلغ من التأثير في الأنفس والآفاق بسائر بقاع العالم .

إن أفضل عمل يقول الشيخ السيريلانكي خص الله به عباده المصطفين هو عمل الدعوة إذ أناطه بالأنبياء الذين صنعهم على عينه وتولى بنفسه تربيتهم من أجل المقصد العظيم مقصد هداية أقوامهم وتوجيه عبوديتهم إلى رب العباد، وأناط بخاتم الأنبياء والمرسلين المصطفى ﷺ عمل الدعوة لقومه وللناس كافة، وجعل رسول الله ﷺ عمل الدعوة تكليفا وتشريفا لكل أمته في قوله «بلغوا عني ولو آية» قال تعالى: ﴿ومن أحسن قولا ممن دعا إلى الله وعمل صالحا وقال إنني من المسلمين﴾(فصلت : 33).

وصدق الشيخ السيريلانكي إخوتي القراء في ترغيبه للقيام بعمل الأنبياء : عمل الدعوة والخروج بالدين من بيئة الإشراف والإسراف في الكلام والأكل والنوم إلى بيئة إصلاح النفس وإصلاح الآخرين، بيئة الكلام في عظمة الله عز وجل وخيرات إقامة الدين في النفس وفي الآخرين ..

وكما قال الشيخ فبقدر ما نتكلم في هذه العظمة تلين القلوب وترق ويأتي فيها الشوق للجنة والخوف من النار، كما تلين الأرض الصلبة إذ تسقى بالماء فتنبث العشب وعذب الثمار.

وبعيدا عن قول الشيخ الكريم فقد جاء دورنا إخوتي لخدمة هذا الدين العظيم كما خدمه الأولون من المهاجرين والأنصار بأموالهم وأنفسهم لوجه الله لا يريدون من المخلوق جزاء ولا شكورا ﴿وما أسألكم عليه من اجر إن اجري إلا على رب العالمين﴾ وإذ أحكي لكم في حلقات قادمة عن حجم معاناة إخواننا السريلانكيين من غياب دعوة إسلامية منتظمة تغطي مناطقهم المنكوبة بالبوذية، وقس على ذلك حاجيات مناطق كثيرة من بلدان العالم إلى الدعوة والدعاة المسلمين ستعترفون إخوتي أننا مقصرون ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

وصدق الشيخ مرة أخرى قارئي وهو يلج بنا بستان الإيمان و مروج الدعوة ويتحسر على نكوص المسلمين عن مهام الدعوة، ففي الأسبوع الجاري كنت أبحر في عالم الإنترنيت بالمواقع الأدبية والقريبة إلى القلب، فاستوقفني عنوان لافت عن خطاب وداع الكاتب الكولومبي العملاق غابرييل غارسيا ماركيز المصاب بسرطان الغدد اللمفاوية الموجه إلى أصدقائه.

بكل شفافية أقول لك قارئي أبكاني الخطاب، أبكاني لا لهشاشة عاطفية مجانية اعترتني، بل لشعوري الكبير بالتقصير الدعوي، وبكل تأكيد سيشعر كل قارئ رسالي لخطاب ماركيز بنفس شعوري فالرجل كان ذا روحانية عجيبة في الخطاب إياه وذا صفات إنسانية لا يمكن أن يتصف بها إلا المصطفون الربانيون، بيد أن أحاسيس ماركيز تلك التي ضمنها خطابه كانت بلا هوية دينية محددة و أعني بها الهوية الإسلامية رغم أن مضامين ما جاء في الرسالة كان إسلامي القسمات كما أسلفنا.. ولنقرأ بعضا من المقاطع المؤثرة التي يقول فيها غابريل ماركيز:

«لو وهبني الله حياة أطول لكان من المحتمل أن أقول كل ما أفكر فيه ولكنني بالقطع كنت سأفكر في كل ما أقوله كنت سأقيم الأشياء ليس وفقا لقيمتها المادية بل وفقا لما تنطوي عليه من معان.

لو أن الله أهداني الوقت لأعيشه كنت سأرتدي البسيط من الثياب

يا إلهي إذا كان مقدرا لي أن أعيش وقتا أطول لما تركت يوما واحدا يمر دون أن أقول للناس إنني أحبهم أحبهم جميعا لما تركت رجلا واحدا أوامرأة إلا وأقنعته أنه المفضل عندي ..

تعلمت أنه ليس من حق الإنسان أن ينظر إلى الآخر من أعلى إلى أسفل إلا إذا كان سيساعده على النهوض .. تعلمت منك هذه الأشياء الكثيرة لكنها للأسف لن تفيدني لأني عندما تعلمتها كنت أحتضر».

*****

ألم يكن هذا الكاتب الكبير، الفياض المشاعر الربانية يحتاج إلى دعاة بالقدم أو القلم أو بأي جهد آخر ليضعوا مشاعره الحائرة على الخط النبوي الكريم الذي أفاض في الانتصار لقيم الصدق والبساطة والمحبة والتواضع وليقولوا له بكل اللطف، بكل المحبة وبكل تواضع الدعاة الحقيقيين الهينين اللينين.

إن رسول الله ﷺ بشر بمشاعر غابريل غارسيا ماركيز الإنسانية الرحيمة قبل أكثر من 14 قرن؟؟ وإن أحاسيس غابرييل تلك لن يليق بها إلا أن تغرف من مشكاة النبوة.

ولأن الشيء بالشيء يذكر فإننا في بحر هذه الأيام الحزينة نستقبل يوم النكبة الذي أعلنت فيه الدول الإمبريالية عن ميلاد الكيان الاستعماري الصهيوني، وإقامته ورما خبيثا في جوف الأمة جمعاء لا فلسطين السليبة فحسب، وإن مجمل ما يدور على الساحة الدولية والساحة العربية الإسلامية وفي الميادين كافة مرورا بالميدان السياسي والاقتصادي والإعلامي والاجتماعي والقانوني ,واا...و..ووو

كل ذلك ليبين بالدليل الدقيق قوة ونبوغ الحركة الصهيونية منذ إنشائها وحتى لحظة كتابة هذه السطور في القدرة على الدعوة الناجعة والتبليغ الميكيافلي المقتدر لمشروعها الباطل في كل أصقاع العالم (إلى حين)، وما الصراعات والفتن المذهبية والجغرافية بين الإخوان الأعداء من المسلمين إلا من آثار العمل المتفاني للقائمين على تأجيج نار الفرن العربي الإسلامي بلا انقطاع من الدعاة الصهاينة..

فمتى نتعلم علوم وفنون التبليغ كفرض عين، (نستجليها من إرثنا النبوي العظيم)، كما يفعل أعداء الأمة بعلومهم المغشوشة، ونحن أمة العلم والمحبة والخير والرحمة للناس كافة، وأمة الخروج للناس بالدعوة لا أمة الخروج للحريك بمقصد إغناء الرصيد المالي والحصول على أوراق الإقامة للدنيا وشهواتها فحسب ؟؟؟

سؤال يظل معلقا ومؤلما في نفس الآن.. وفي حلقة قادمة إذ نيمم بمشيئة الله صوب القرى السيريلانكية ستطالعنا معالم هذا الغياب الدعوي الفادح، فابقوا معنا.

-يتبع-

آيبون... تائبون!

إهداء :
إلى روح الأستاذ الفاضل، د. فريد الأنصاري رحمه الله، الذي جعلنا نرى بأرواحنا مكامن الجمال في ديننا!

3– مهاجر إلى ربه...!

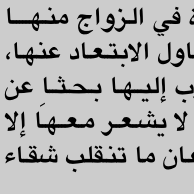

ذة. نبيلة عزوزي

كلما استقبل القبلة للصلاة، حدثته نفسه : صلاتك غير مقبولة... فلماذا تصلي؟!

ويتضاعف عذابه وإحساسه بالضياع... ويخاف ألا يسمعه الله، وألا ينظر إليه... إلا الله فإنه لا يتحمل أن يغضب منه، ولو غضب منه العالم بأسره!

طول حياته، كان متدينا، شغوفاً بالتحصيل العلمي... ومن نعم الله عليه أنه برع في إتقان عدة لغات، مما أهّله لوظيفة مرموقة في هيأة عالمية...

فجأة، انقلبت حياته رأساً على عقب... لم تكن الأولى ولا الأخيرة التي تأتي من أوربا للبحث العلمي، تحت إشرافه... قاوم إغراءها كثيراً... وضع أمامها خطوطا حمراء، وضوابط لعلاقتهما...!

لا يدري كيف تردى معها.. لم يعد يقدر على الابتعاد عنها لحظة... ذكّره أصدقاؤه... حذروه... لا جدوى.. وأصبح يسهر معها في الملاهي ويتباهى بذلك، إلا أنه كان يرفض التدخين والخمر رغم إلحاحها!!

فاتحها مرة في الزواج منها فاستهزأت منه... حاول الابتعاد عنها، ولَمْ يستطع... فيهرب إليها بحثا عن السعادة... لكنه كان لا يشعر معهاَ إلا بسعادة مؤقتة، سرعان ما تنقلب شقاء وحزنا قاتما!

لجأ إلى صديق له.. يشكوه حاله أثناء الصلاة... فقال له صديقه "احذر، إن الشيطان.. يريدك أن تقطع الصلاة.. ويبعدك عن الله تماما!» بكى بكاء حارا... وقال لصديقه :

– وهل يسمعني الله... هل ينظر إلي؟! إني أستحيي منه كلما وقفت للصلاة؟

– أجل إنه يسمعك، وينظر إليك... ادْعُه وألحّ في الدعاء.. ومادمت تشعر بذلك، فإن الإيمان لم يغادر قلبك...!

منحه كلام صديقه دفعة أمل قوية.. فقرر أن يتوب توبة نصوحا.. مَحا رقم هاتفها وبريدها الإلكتروني من قلبه أولا، ومن هاتفه وحاسوبه..

وكلما فكر فيها، لجأ إلى الصلاة والدعاء... وكان عليه أن يختار : أهي.. أم الحور العين؟! أالله.. أم الشيطان؟! النار.. أم الجنة؟! الرذيلة... أم الطهر والعفاف...؟! وكان يقرن صورتها –في مخيلته– برائحة كريهة مقززة... ويقرن العفة برائحة المسك..!

قاوم نفسه كثيرا... وقاوم إغراء تلك الأجنبية أكثر... فأحس بالسعادة الحقيقية... وأصبح داعية إلى هذا الدين، سيما وأنه يتقن لغات كثيرة، وقد وعى رسالته الحقيقية في هذه الحياة...!

نافذة على التراث

إعداد : الدكتور عبد الرحيم الرحموني

صاحب الذوق السليم من القضاة

لا يقبل الرشوة، ويترفق في الدعوة، لا يسعى في وظيفة، ويتأمل ما كان عليه أبو حنيفة، ينظر في حال المسكين، ويحصل له عليه من المشقة كمن ذبح بغير سكين، رضيّ الخلق سيوس، ضاحك غير عبوس، يساوي بين الخصمين، وينظر في حقيقة الدين، له معان وبيان، وفقه وتصريف بإمكان، فهو خير إنسان، نطقه وخيره يزيد، وقد أقامه الله تعالى لمصالح العبيد، لا يحكم بإغراء من الأمراء، لما سلك طريق العلماء وعزة الفقراء، ولا يحكم بأغراض الملوك، وقد سلك بهذه الطريقة أحسن سلوك، يعلم أن كل ملك لله مملوك، فهو خائف من الله، متوكل على الله، لا يحكم إلا بحكم الله، لا يقبل شهادة الزور، ولو كان على وزن الخردلة في كل الأمور، فهو القاضي لأنه تميز عن القاضيين.

فرحم الله تعالى من تأمل هذه الخصال وجعل بينه وبينها إتصال.

● صفة صاحب الذوق السليم جلال الدين السيوطي

من كرامات الصالحين

عن أحد الصالحين. قال يحيى بن جابر: خرجت أنا وخالد بن معدان وأبو الزاهرية، وأبو مرحوم العطار، نريد بيت المقدس فنزلنا منزلا بفلسطين، فقال لنا رجل: إن هذه الأرض مسبعة فلا تنزلوها، فنزلنا وبيتنا فيها، فجاء السبع، فقام إليه خالد بقوسه، فقال له أبو مرحوم: أبالقوس! تقوم إليه يا خالد؟ فمشى إليه أبو مرحوم في قميصه حتى دنا منه، فقال له: أنت كلب من كلاب الله، ونحن عباد الله، جئنا نصلي في بيت المقدس، فلا تؤذ منا أحدا إلا أن يكون لك في أحدنا رزق. قال: وكأنما يكلم رجلا، فانصرف السبع عنا موليا، ونحن ننظر إليه.

●مختصر تاريخ دمشق ابن منظور

واتبعتهم ذريتهم بإيمان

قال شعيب : حدثت أن عبد الملك بن عمر بن عبد العزيز دخل على أبيه فقال: يا أمير المؤمنين: ما أنت قائل لربك غدا إذا سألك فقال: رأيت بدعة فلم تمتها أو سنة فلم تحيها؟ فقال أبوه: رحمك الله وجزاك من ولد خيرا.. يا بني: إن قومك قد شدوا هذا الأمر عقدة عقدة، و عروة عروة، ومتى أردت مكابرتهم على انتزاع ما في أيديهم لم آمن أن يفتقوا علي فتقا يكثر فيه الدماء، والله لزوال الدنيا أهون علي من أن يراق في سببي محجمة من دم، أو ما ترضى أن لا يأتي على أبيك يوم من أيام الدنيا إلا وهو يميت فيه بدعة و يحيى سنة؟

●تاريخ الخلفاء للسيوطي

ذكاء قاض

حدثنا ابن السماك قال: اختصم إلى قاضي القضاة الشامي يوماً رجلان، وهو بجامع المنصور، فقال أحدهما: إني أسلمت إلى هذا عشرة دنانير. فقال للآخر: ما تقول؟ قال ما أسلم إلى شيئاً.. فقال للطالب: هل لك بينة؟ قال: لا. قال: ولا سلمتها إليه بعين أحد؟ قال: لا، لم يكن هناك إلا الله عز وجل. قال: فأين سلمتها إليه؟ قال بمسجد بالكرخ(حي ببغداد). فقال للمطلوب: أتحلف؟ قال: نعم. قال للطالب: قم إلى ذلك المسجد الذي سلمتها إليه فيه، وائتني بورقة من مصحف لأحلفه بها. فمضى الرجل، واعتقل القاضي الغريم، فلما مضت ساعة التفت القاضي إليه، فقال: تظن أنه قد بلغ ذلك المسجد؟ فقال: لا، ما بلغ إليه. فكان هذا كالإقرار، فألزمه بالذهب، فأقربه.

●الأذكياء لابن الجوزي

ثابت بن قيس: خطيب الرسول ﷺ

ثابت بن قيس بن شماس بن زهير بن مالك بن امرئ القيس بن مالك الأغر بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج بن الحارث بن الخزرج، أبو محمد وقيل: أبو عبد الرحمن.

خطيب الأنصار كان من نجباء أصحاب رسول الله محمد ﷺ، ولم يشهد بدراً، شهد أحداً وبيعة الرضوان.

قال ابن إسحاق: قيل آخى رسول الله ﷺ بينه وبين عمار ... وكان جهير الصوت خطيباً بليغاً.

عن أنس قال: خطب ثابت بن قيس مقدم رسول الله ﷺ المدينة، فقال: نمنعك مما نمنع منه أنفسنا وأولادنا، فما لنا؟ قال: الجنة. قالوا رضينا.

عن مالك وغيره: عن ابن شهاب عن إسماعيل بن محمد بن ثابت بن قيس، أن ثابت بن قيس قال يا رسول الله! إني أخشى أن أكون قد هلكت، ينهانا الله أن نحب أن نُحمد بما لا نفعل، وأجدني أحب الحمد. وينهانا الله عن الخيلاء، وإني امرؤ أحب الجمال، وينهانا الله أن نرفع أصواتنا فوق صوتك، وأنا رجل رفيع الصوت، فقال رسول الله ﷺ : «يا ثابت! أما ترضى أن تعيش حميداً وتقتل شهيداً وتدخل الجنة»؟.

حدثنا أيوب عن عكرمة قال لما نزلت "لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي﴾(الحجرات: 2)، قال ثابت بن قيس أنا كنت أرفع صوتي فوق صوته فأنا من أهل النار فقعد في بيته فتفقده رسول الله ﷺ فذكر ما أقعده فقال بل هو من أهل الجنة فلما كان يوم اليمامة انهزم الناس فقال ثابت أف لهؤلاء ولما يعبدون! وأفٍّ لهؤلاء ولما يصنعون! يا معشر الأنصار! خلوا سنني لعلي أصلي بحرها ساعة ورجل قائم على ثلمة فقتله وقتل.

حدثنا أيوب عن ثمامة بن عبد الله عن أنس قال أتيت على ثابت بن قيس يوم اليمامة وهو يتحنط فقلت أي عم! ألا ترى ما لقي الناس؟ فقال الآن يا ابن أخي. ثم أقبل فقال: هكذا عن وجوهنا نقارع القوم، بئس ما عودتم أقرانكم! ما هكذا كنا نقاتل مع رسول الله ﷺ. فقاتل حتى قتل.

عن سهيل عن أبيه عن أبي هريرة، قال: قال النبي ﷺ: «نعم الرجل ثابت بن قيس بن شماس».

وعن الزهري أن وفد تميم قدموا، وافتخر خطيبهم بأمور، فقال النبي ﷺ لثابت بن قيس: "قم فأجب خطيبهم". فقام فحمد الله وأبلغ، وسُرّ رسول الله ﷺ والمسلمون بمقامه.

● سير أعلام النبلاء للذهبي

بيت المقدس وقبة الصخرة كما وصفهما ابن بطوطة

■**بيت المقدس:**

وهو من المساجد العجيبة الرائقة الفائقة الحسن، يقال: إنه لا يوجد على وجه الأرض مسجد أكبر منه، وإن طوله من جهة الشرق إلى الغرب سبعمائة واثنتان وخمسون ذراعاً، بالذراع المالكية، وعرضه من القبلة إلى الجوف أربعمائة ذراع وخمس وثلاثون ذراعاً، في جهاته الثلاث، وأما الجهة القبلية منه فلا أعلم بها إلا باباً واحداً، وهو الذي يدخل منه الإمام. والمسجد كله فضاء وغير مسقف، وهو في النهاية من إحكام الفعل وإتقان الصنعة، مموه بالذهب والأصبغة الرائقة، وفي المسجد مواضع سواه مسقفة.

■ **قبة الصخرة:**

وهي من أعجب المباني وأتقنها وأغربها شكلاً. وقد توفر حظها من المحاسن، وأخذت من كل بديعة بطرف، وهي قائمة على نشزي وسط المسجد، يصعد إليها في درج رخام. ولها أبواب. والدائر بها مفروش بالرخام أيضاً، محكم الصنعة، وكذلك داخلها في ظاهرها وباطنها من أنواع الزواقة ورائق الصنعة ما يعجز الواصف. وأكثر ذلك مغشى بالذهب فهي تتلألأ أنوارا، أو تلمع لمعان البرق. يحار بصر متأملها في محاسنها، ويقصر لسان رائيها عن تمثيلها. وفي وسط القبة الصخرة الكريمة التي جاء ذكرها في الآثار. فإن النبي ﷺ عرج منها إلى السماء. وهي صخرة صماء، ارتفاعها نحو قامة. وتحتها مغارة مقدار بيت صغير. ارتفاعها نحو قامة أيضاً ينزل إلها على درج. وهنالك شكل محراب. وعلى الصخر شباكان اثنان محكما العمل، يغلقان عليها، أحدهما؛ وهو الذي يلي الصخرة، من حديد، بديع الصنعة، والثاني من الخشب. وفي القبة درقة كبيرة من حديد، معلقة هنالك. والناس يزعمون أنها درقة حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه.

● رحلة ابن بطوطة

كتابات دالة على الجدران

أبو محمد الأنصاري. قال : قرأت على حجر ببيت المقدس: رأس الغنى القنوع، ورأس الفقر الخضوع.

وقال: قرأت على حجر بدمشق: كلّم من شئت فأنت نظيره، واستغن عمن شئت فأنت أميره، واخضع لمن شئت فأنت أسيره.

قال: وقرأت على حجر عند جُب: كلّ من أحوجك الدهر إليه فتعرضت له هُنت عليه.

● مختصر تاريخ دمشق ابن منظور

بلاغة اللسان

ووصف بعض البلغاء اللسان فقال: اللسانُ أداةٌ يظهر بها حُسن البيان، وظاهرٌ يُخبِر عن ضميرٍ، وشاهدٌ ينبئُك عن غائب، وحاكم يُفصَل به الخطاب، وناطقٌ يُرَدُّ به الجواب، وشافعٌ تُدرَك به الحاجة، وواصفٌ تُعرف به الحقائق، ومُعَزٍّ يُنْفَى به الحزن، ومُؤنس تذهَب به الوَحْشة، وواعظٌ يَنهَى عن القبيح، ومزَيِّنٌ يدعو إلى الحَسَن، وزارعٌ يحرث المودَّة، وحاصدٌ يستأصل الضَّغينة، ومُلْهٍ يُونِقُ الأسماع.

●البيان والتبين الجاحظ

من مآثر الحضارة الإسلامية:

اتصال العمران بين الإسكندرية والقيروان

وما بين الإسكندرية وطرابلس المغرب خمس وأربعون مرحلة، وكانت العمارة متصلة من مدينة الإسكندرية إلى مدينة القيروان، تمشي فيها القوافل ليلاً ونهاراً، وكان فيما بين الإسكندرية وطرابس المغرب حصون متقاربة جداً، فإذا ظهر في البحر عدو، نوَّر كل حصن للحصن الذي يليه، واتصل التنوير، فينتهي خبر العدو من طرابلس إلى الإسكندرية، أو من الإسكندرية إلى طرابلس في ثلاث ساعات أو أربع ساعات من الليل، فيأخذ الناس أهبتهم، ويحذرون عدوهم. ولم يزل هذا معروفاً من أمر هذه البلاد إلى أن خربت الأعراب تلك الحصون ونفت عنها أهلها.

●المعجب في تلخيص أخبار المغرب عبد الواحد المراكشي

مما تأباه الفطرة

دفَعُوا إلى أعرابية عِلكاً لتمضَغَه، فلم تفعلْ، فقيل لها في ذلك، فقالت: ما فيه إلاَّ تعبَ الأضراس، وخَيْبة الحنجرة

●البيان والتبين الجاحظ

رمضان كان أحلى ولكن... !!

عبد الحميد الرازي

وكل يدعي وصلا بليلى :

الناس من حيث الاستعداد لرمضان صنفان :

القنوات الفضائية، والمحطات الأرضية، والإذاعات الأثيرية والمجلات الورقية والإلكترونية، والجمعيات الأهلية، والمؤسسات المدنية، والنوادي الثقافية، كل هذه الأنواع وغيرها على قسمين.

فأما أحدهما فيسقي شعبه سماً وعلقماً، حيث أمضى العام كله في استعدادات متواصلة، ومجهودات مضنية هدفها المكر بالمؤمنين رغبة في إبطال أعمال الصالحين من عباد الله، القابضين على الجمر في زمن الفتن، وإمعانا في تشويه عبادات المسلمين، وتفريغها من روحها التي بها توتي أكلها بإذن ربها، فتجدهم وقد تفننوا في أشكال من الأعمال المفسدة للصيام والقيام بالليل والنهار.

فمن المسلسلات الهابطة، والسكيتشات المبتذلة والأغاني الماجنة، إلى المهرجانات الماكرة والسهرات الفاضحة، والكتابات المضللة والمزورة والصور العارية... كل هذا وغيره كثير مما لا يتسع المجال لذكره ينظم بحجة الاحتفال برمضان المعظم(زعموا).

كلهم ينافس في الوصلات الإشهارية على الشاشات التلفزية، وعلى صفحات الشبكة العنكبوتية، وعلى اللوحات العملاقة، وبواسطة الأبواق المتحركة وهي تجوب الشوارع والأزقة بأصواتها المزعجة للمؤمنين والمغربة للماجنين، وعلى صفحات الجرائد والمجلات المقززة، كلهم ينادي ويصيح ولسان مقالهم يقول : "رمضان مَعِي أحلى" وأما لسان حالهم فكان وما يزال يقول : «يا باغي الشر أقبل ويا باغي الخير أقصر».

فهل يحتفى بشهر ا لقرآن بغير القرآن؟

وكل يدعي وصلا بليلى

وليلى لا تقر لهم بذاك

وكل يدعي إحياء ليالي رمضان لكن رمضان لا يقر لهم بذلك.

فمن أراد أن يحتفل برمضان فليكن كما احتفل به من نزل عليه القرآن.

ومن أراد أن يحيى ليالي رمضان فعلى منهج من كان خلقه القرآن.

ومن أراد أن يحتفل برمضان فتأسيا بمن كان قرآنا يمشي على الأرض.

ألا فَلْيَعْلُوَنَّ من تعالى

هكذا هكذا وإلا فلا لا

وبالمثال يتضح المقال :

أما الصنف الثاني فيسقي أمته لبنا سائغا، ويطعمها تمراً طرياً وعسلا صافياً، ويسمعها صوتاً بالقرآن شجياً، ويُرِيها صوراً بالدين والأخلاق بهية، ويعطرها مسكاً ندياً، كل هذا وأكثر تجلى في برامج بعض القنوات الفضائية الرسالية، متأسية بعمل السلف الصالح الذي كان يعيش السنة كلها مع رمضان يدعو في نصفها الأول بالقبول ويرجو في نصفها الثاني بلوغ رمضان القادم، فكانوا -جزاهم الله عن الإسلام والمسلمين خيراً- يجتهدون ويتنافسون طوال العام لإنتاج المفيد للأمة، رغبة منهم في النهوض بها وإحياء ما أُخْفِيَ من حضارتها العظيمة ﴿وفي ذلك فليتنافس المتنافسون﴾.

سقاية ورفادة :

يا من يرى عباد الله الصالحين وقد تأسوا بأهل مكة في السقاية والرفادة، في جو ليس له مثيل، ترى المساجد وقد نشط فيها قوم اختارهم الله تعالى واصطفاهم لخدمة ضيوفه في بيوته، بدءاً بالماء البارد المعد سلفاً، وانتهاء بتوزيع التمر والحليب على الصائمين قبل موعد الإفطار ﴿وما لأحد عنده من نعمة تجزى إلا ابتغاء وجه ربه الاعلى﴾.

وجمعيات أخرى حملت على عاتقها إدخال الفرحة والسرور على المحتاجين، فتراهم يوزعون الغذاء والكساء على ذوي الحاجة، اقتداء بسيد الخلق أجمعين الذي كان أجود ما يكون في رمضان.

وهيآت رسمية، وجمعيات ثقافية سهرت على تنظيم مسابقات القرآن، وسرد أحاديث النبي العدنان، وتنظيم ندوات العلم والعرفان، ومساجد تسابقت في جلب أجود القراء لإمتاع المصلين وإسماعهم خير ما أنزل إليهم من ربهم.

وزرابي مبثوثة :

يا من يرى مسجد البركة بإمامه الحافظ المتقن، وبساحته الكبيرة وقد غصت بالمؤمنين، يا من يرى حلق المؤمنين جالسين وواقفين جماعات، جماعات بعد انتهاء صلاة التراويح كل ليلة. وقد نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة، حتى إن الكثيرين كان هذا الجو الرباني يذكرهم بجو مكة المكرمة، وقد تعودوا على مشاهدته وتتبع الصلوات المنقولة على الهواء مباشرة من المسجد الحرام، فكانوا يعيشون جو العمرة بملء السمع والبصر عبر قنوات الخير.

يا من يرى مسجد الغفران وجنباته، ويوسف بن تاشفين وإمامه، ومسجد معاذ بن جبل وأكنافه.. والقائمة طويلة، فالزرابي مبثوثة في جنبات المساجد التي ضاقت بالمصلين في مشهد جميل تجلت فيه معاني الاحتفال بالقرآن، وبرزت فيه الأسرة المؤمنة في انسجامها حيث ترى الأب والأم والأطفال مهرولين في جو أسري رائع، يُنْبِئ بعودة راشدة إلى هذا الدين القيم إن شاء الله تعالى، تراهم وقد تأبطوا زرابيهم، وتزودوا بقنينات الماء البارد يروون به عطشهم بين تسليمة وأخرى.

يا من يرى المؤمنين وهم يتناقلون أخبار مزامير داود فكل واحد يبلغ صاحبه بأن هناك إماما من الطراز الرفيع تم اكتشافه في مسجد كذا، ويرغبه في الصلاة خلفه، وكأن المؤمنين قد تحولوا إلى وكالات أنباء إيمانية.

يا من يرى تناقل خبر ختم القرآن في مساجد المدينة الذي كانت تسير به الركبان وحتى على مواقع الشبكة العنكبوتية.

هذه الأجواء الربانية هي التي تجعل من رمضان أحلى : فرمضان كان أحلى ما يكون، لكن ليس مع الصنف الأول وإن قالوا إن بعض وسائل الإعلام نظمت مسابقة القرآن وأدرجنا بعض الدروس أقول : خلطوا عملا صالحاً وآخر سيئا.

لقد طغت مرارة البرامج المعروضة على حلاوة البرامج الإيمانية، ورمضان لن يكون معهم أحلى حتى تطغى حلاوة الطاعة على مرارة المعصية.

حفاظاً على مكتسبات رمضان

ذ. إدريس اليوبي

إن الله تعالى قد كتب لنا الحياة في شهر رمضان، ويسَّر لنا صيام أيامه، نعمة منه ورحمة، ووفقنا إلى قيام لياليه وإحيائها، بفضله وجوده وكرمه، وهدانا إلى أعمال البر والخير، وأعاننا على صنوف الطاعات والقربات، تكرما منه وإحسانا.

والمؤمن الصادق هو الذي أقبل على هذه الطاعات والقربات وفعل الخيرات والصالحات بإخلاص وإتقان، لا يبتغي من ذلك كله إلا وجه الله عز وجل، مصداقا لقوله تعالى: ﴿وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويوتوا الزكاة، وذلك دين القيمة﴾، والمؤمن الصادق بأعماله وطاعاته لا يطمع إلا في رحمة الله ورضاه، مصداقا لقوله تعالى: ﴿إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية، جزاؤهم عند ربهم جنات عدن تجري من تحتها الانهار خالدين فيها أبدا، رضي الله عنهم ورضوا عنه، ذلك لمن خشي ربه﴾.

ووفاء لشهر رمضان فإنه من الواجب علينا أن نحرص على أن تظهر علينا بركاته فيما بعده من الأيام، وأن نحافظ على ما كسبناه من طهر في قلوبنا، وعفة في نفوسنا، ونقاء في جوارحنا، وسُمُوٍّ في أرواحنا، وصفاء في أخلاقنا، وإحسان في معاشراتنا، وتسامح وتعاون في معاملاتنا، حتى نكون في صورة العبودية لله تعالى التي يرضاها عنا سبحانه.

إننا مطالبون فيما بعد رمضان بأن نجتهد في طاعة الله عز وجل: أمراً ونهيا، وبأن نسارع إلى فعل الخيرات وترك المنكرات، وبأن نحافظ على أداء الفرائض كما أمرنا بها رب العزة سبحانه، وبما أن الله عز وجل قد علمنا أن لكل فريضة نافلة، فلا ينسى أحدنا أن يخصص جزءا من أوقاته وأمواله لأداء النوافل: صلاة وصياما وإنفاقا، لأن النوافل تحفظ الفرائض وتصونها وتحافظ عليها، وتجلب محبة الله تعالى، مصداقا لقوله تعالى فيما رواه عنه رسول الله ﷺ في الحديث القدسي: «....ومازال عبدي يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه...».

ومن نوافل الصيام: ستة أيام من شهر شوال، قال رسول الله ﷺ : «من صام رمضان ثم أتبعه ستا من شوال كان كصيام الدهر»(رواه الإمام مسلم وغيره).

قال الإمام النووي رحمه الله تعالى : قال العلماء: (وإنما كان كصيام الدهر، لأن الحسنة بعشر أمثالها، فرمضان بعشرة أشهر، والستة بشهرين)، ونقل الحافظ ابن رجب عن ابن المبارك: (قيل: صيامها من شوال يلتحق بصيام رمضان في الفضل، فيكون له أجر صيام الدهر فرضا)، وصيام هذه الست بعد رمضان دليل على شكر الصائم لربه تعالى على توفيقه لصيام رمضان، وزيادةٌ في الخير، كما أن صيامها دليلٌ على حب الطاعات، ورغبةٌ في مواصلة السير في طريق الصالحات.

ولقد أخبرنا الحبيب المصطفى ﷺ أن من صام يوما في سبيل الله باعد الله جسده من النار سبعين خريفا، لذلك كان السلف الصالح رضوان الله عليهم يختارون صيام الأيام التي تشتد فيها الحرارة وتطول فيها الساعات، حتى سئل بعضهم عن سبب ذلك فقال: إنما أستعد به ليوم أطول منه وأشد حرارة.

وبهذا، فإن الطاعات ليس لها موسم معين حتى إذا انقضى هذا الموسم عاد الإنسان إلى المعاصي، بل إن موسم الطاعات يستمر مع العبد في حياته كلها، ولا ينقضي حتى يدخل العبد قبره..

قيل لبشر الحافي رحمه الله تعالى : إن قوماً يتعبدون ويجتهدون في رمضان. فقال: بئس القوم قوم لا يعرفون لله حقاً إلا في شهر رمضان، إن الصالح الذي يتعبد ويجتهد السنة كلها. لذلك ينبغي أن نتذكر جميعا أننا -خلال شهر رمضان- كنا نحضر مجالس الذكر والقرآن ونؤمن على الدعاء في بكاء وخشوع، وإنابة وخضوع، نطلبه الهداية للحق والثبات عليه، ونسأله أن يجعل القرآن إمامنا ومنهاج حياتنا.

فالحذر كل الحذر أن نهجر القرآن: تلاوة وتدبرا وحفظا وفهما وعملا بأحكامه، تعلما وتعليما.

والحذر كل الحذر أن نضيع طاعات تعودنا عليها وأحسسنا بحلاوتها، أو أن نعود إلى معصية ابتعدنا عنها.

والحذر كل الحذر أن يرانا الله في مكان نهانا عنه، أو أن يفتقدنا في موضع أمرنا به. قال الحافظ ابن رجب رحمه الله تعالى : (فأما مقابلة نعمة التوفيق لصيام شهر رمضان بارتكاب المعاصي بعده، فهو من فعل من بدل نعمة الله كفرا).

وإذا كان الله تعالى قد شرع العيد، فإنه لأجل أن يفرح الإنسان ويسعد بتحقيق الطاعة لله تعالى، فهو عيد شكر وعرفان لفضل الله عز وجل الذي يهدي عباده المؤمنين إلى نعمة الطاعة والعبودية الخالصة لله رب العالمين، وإن الفرحة الحقيقية للعيد هي أن نجدد عزمنا، ونقوي إرادتنا، ونستجمع طاقتنا وقوتنا على أن نعتصم بحبل الله المتين، ونسير على صراطه المستقيم، ونثبت على الحق المبين، ونتحرر من نزوات النفس ونزغات الشيطان اللعين.

وإن فرحة العيد هي أن ندرك أن سعادتنا شديدة الارتباط بسعادة غيرنا من الأحباب والأقرباء والجيران والأصدقاء وعامة الناس أجمعين، وأن نقوم بواجبنا نحو الفئات المحرومة من المهمومين والمكروبين والفقراء والمساكين والضعفاء واليتامى والأرامل والمطلقات، فنمد إليهم يد العون والمساعدة، وندخل عليهم الفرحة والبهجة، حتى تعم الفرحة جميع الناس، ويدخل السرور لكل البيوت، وتهنأ كل الأسر، وتسعد كل العائلات، وتسود الأخوة الإيمانية، وتنتشر المودة والرحمة والمحبة والألفة.

وإن فرحة العيد هي أن يشعر الأغنياء والأثرياء أن السعادة الحقيقية في تفريج كرب المكروبين، وتنفيس هموم المهمومين، وإطعام الجائعين، وكسوة العارين، وإعانة المحرومين، ومسح دموع اليتامى الباكين، عملا بقول رسول الله ﷺ : «من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن يسر على معسر، يسر الله عليه في الدنيا والآخرة، ومن ستر مسلما ستره الله في الدنيا والآخرة، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه».

ماذا بعد رمضان؟

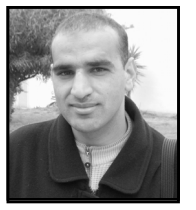

ذ. محمد البويسفي

رمضان شهر الخيرات والبركات

لقد مر علينا شهر رمضان شهر الخيرات والبركات، شهر تكون فيه القلوب مستعدة ومتهيئة للطاعة والعبادة لله تعالى، بحيث يكون الإقبال على الخيرات والتعرض للنفحات الربانية في هذا الشهر المبارك، شهر تصفد فيه الشياطين، وينادي مناد : يا باغي الخير أقبل ويا باغي الشر أدبر، أوله رحمة وأوسطه مغفرة وآخره عتق من النار. شهر فيه أنزل القرآن الكريم على نبينا محمد ﷺ، لهداية الناس وإخراجهم من الظلمات إلى النور.

في هذا الشهر العظيم يقبل الناس على عبادة الله وملء المساجد وإحياء الليل بذكر الله وتلاوة القرآن، وصوم النهار، والابتعاد عن الموبقات والشهوات حتى المباحة منها، طاعة لله تعالى وتقربا إليه، يترك المرء طعامه وشرابه وزوجته استجابة لأمر الله، يكبح جماح شهوته ويصبر على الجوع والعطش، عساه ينال رضا الله تعالى، وعسى أن يدخل من باب الريان المخصص للصائمين في الجنة وأنعم بها نعمة..، وتكثر فيه الصدقات والإنفاق في سبيل الله، وتلين القلوب وترق. وهو شهر التوبة والعودة إلى الله تعالى، فيه تغيب المعاصي والآثام، فالذي يدخن يحاول أن ينقطع عن التدخين خلال هذا الشهر الأبرك، والذي يشرب الخمر يبتعد عنه في رمضان، ومن ابتلي ببلية يحاول الابتعاد عنها في هذا الشهر الكريم. حتى بعض المتعاملين بالربا يمتنعون عنها في رمضان مخافة أن تفسد صيامهم! ! ! وهذا شيء جميل، وهذا دليل على بقاء الخير في هذه الأمة العظيمة، حيث يغتنم المسلم النفحات الربانية وأوقات تنزل الرحمات الربانية، ويعظم الأجر والثواب، وهذا ولله الحمد يفرح القلب، فشهر رمضان، شهر البركات والخيرات، شهر العبادة والتقرب إلى الله. لكن ماذا بعد رمضان؟

ماذا بعد رمضان؟.

الأصل أن يظهر أثر صيام رمضان على الناس في الشهور الأخرى، لكن للأسف الشديد تغيب هذه الحماسة للتدين، ويفتر الناس بعد رمضان، ويعود كل واحد لما كان عليه قبل رمضان، وهذا غير صحيح في ميزان الشرع، وفهم خاطئ للدين، لأن الصلاة ليست واجبة في رمضان فقط، و قراءة القرآن لا يؤجر عليها في رمضان فقط، والإقبال على الدروس والبرامج الدينية لا يكون في رمضان فقط، بل باب الطاعات والتقرب إلى الله تعالى مفتوح مدى الحياة ما لم يغرغر الإنسان، وما لم تطلع الشمس من مغربها. بعض الناس البسطاء يظن أن لا صوم بدون صلاة، لذلك ترى حتى الذي لا يصلي يحافظ على الصلاة في رمضان! لكن الصلاة جاءت متقدمة على الصيام، كما في حديث أركان الإسلام. فهي في المرتبة الثانية بعد الشهادتين، ثم الزكاة، ثم الصيام، ثم الحج. وبعضهم يجعل مواسم للعبادة، فشهر رمضان موسم عبادة وتقرب إلى الله، لكن بعد انقضاء رمضان يوقف الصلاة وأعمال الطاعات إلى موسم آخر! وهنا تحضرني قولة أبي بكر ﷺ عند وفاة النبي ﷺ: " أيها الناس من كان يعبد محمدا فإن محمد قد مات ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت". وكذلك نقول : أيها الناس من كان يعبد رمضان فرمضان قد فات ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت.

رمضان مدرسة لتعلم الصبر والتزود بالتقوى رمضان شهر الصبر فيه يتعلم الصائم كيفية الصبر على الجوع والعطش، وعلى مراغمة الشهوات وكبح جماحها، وضبط النفس والتحكم فيها بدل أن تتحكم فيه هي فيتبعها هي والهوى، فصير عبدا لشهواته وأهوائه، وصدق الله تعالى إذ قال: "أرأيت من اتخذ إلهه هواه أفأنت تكون عليه وكيلا﴾(الفرقان :43). وغاية مجاهدة النفس هي أن تصير ذليلة مطيعة لصاحبها يقودها في طاعة الله وعبادته، ولا تقوده هي لما جبلت عليه من حب الشهوات من المال والنساء..، والخلود إلى الأرض، وإيثار الدنيا على الآخرة. والصبر: صبر على طاعة وصبر على المعصية، وصبر على البلاء. فالصبر على الطاعة هو إرغام النفس على طاعة الله بإتيان الفرائض على وجهها، والاجتهاد في النوافل من الرواتب والسنن في الصلاة، وصيام الإثنين والخميس والأيام البيض..، وإصباغ الوضوء على المكاره، وانتظار الصلاة إلى الصلاة، وكثرة الخطى إلى المساجد، والإنفاق في سبيل الله، ومنع النفس من البخل والشح. أما الصبر على المعصية فهو منعها من الوقوع في المعاصي وأولها هو اجتناب كبائر الإثم والفواحش، ثم مجاهدة النفس على عدم الوقوع في الصغائر واللمم، وهذا باب واسع لمجاهدة النفس ومنعها من المحرمات. فقد روى أبو هريرة ﷺ، قال قال رسول الله ﷺ: «من لم يدع قول الزور والعمل به، فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه»(البخاري). وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول ﷺ : «ليس الصيام من الأكل والشرب إنما الصيام من اللغو والرفث فإن سابك أحد أو جهل عليك فقل إني صائم إني صائم»(رواه إبن خزيمة والحاكم وقال صحيح على شرط مسلم وصححه الشيخ الألباني). وقال رسول الله ﷺ: «الصيام جنة، فإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب -وفي رواية: «ولا يجهل»- فإن امرؤ سابه أو قاتله فليقل: إني صائم، مرتين»(متفق عليه عن أبي هريرة). بل الصوم هو إمساك عن المباحات والمشتهيات والطيبات طاعة لله تعالى، حتى يكون عن المحرمات أبعد، فهو تدريب للنفس وتطهير لها. وهذا عين التقوى التي جعل الله الصيام سبيلا إليها. كما قال تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون﴾(البقرة: 183) أي الغاية من تشريع الصيام هو تحقيق التقوى في نفوس المؤمنين، والتقوى كما عرفها بعض العلماء هي: أن يراك الله حيث أمرك وأن يفقدك حيث نهاك، روي "أن عمر بن الخطاب ﷺ، سأل أبيَّ بنَ كعب عن التقوى؟ فقال له أُبيّ: أما سلكت طريقًا ذا شوك؟ قال: بلى قال: فما عملتَ؟ قال: شمرت واجتهدت، قال: فذلك التقوى" ومثلُه عن أبي هريرة: "أن رجلاً قال له: ما التقوى؟ فقال: هل أخذتَ طريقاً ذا شوك؟ قال: نعم. قال: فكيف صنعت؟ قال : إذا رأيتُ الشوك عدلتُ عنه ، أو جاوزته ، أو قصُرت عنه ، قال: ذاك التقوى". فالتقوى أن تشمر عن ساعد الجد في طاعة الله، وتجتهد ألا تقع في المعاصي. وهذا لا يتحقق إلا بالصبر الذي يعلمه لنا الصيام. ومن وفقه الله تعالى لصيام شهر رمضان تتحقق فيه هذه الصفة وتلازمه حتى بعد رمضان، فيجتهد في طاعة الله واجتناب المعاصي في سائر أيام السنة، بعد أن تزود من شهر الصيام بالتقوى.

علامة قبول الطاعة الاستمرار عليها

يقول الشيخ محمد حسين يعقوب في كتابه : (أسرار المحبين في رمضان) :

(كيف أعرف أنني من المقبولين بعد رمضان؟

والجواب والله أعلم:

1) أن يجد المرء قلبه أقرب إلى الله وآنس به وأحب إليه، فهذه ثمرة الطاعة وعلامة القبول.

2) أن يحب الطاعات ويقبل عليها، ويشعر أن أبوابها تتفتح له وييسر له فعلها، ويشعر أن أبواب المعاصي تُغلق عنه ويُصرف عنها، ويكرهها ويستنكف عن فعلها.

3) أن لا يفقد الطاعات التي كان يقوم بها في رمضان، بل يواظب عليها، بل ويستحدث بعد رمضان أعمالا لم تكن له قبل رمضان.

4) أن لا يعود إلى الذنوب التي تاب منها في رمضان، فقد تكلم العلماء فيمن تاب من ذنب ثم عاد إليه، ان هذا دليل على أن توبته لم تُقبل، لأنها لو قُبلت لما عاد للذنب مرة أخرى.

إن عمل الصالحات لا ينقطع عنك ما دامت فيك روح، وفعل الطاعات لا يسقط عنك ما دام يتردد فيك نفَس، وأيّما وجدت خيرا فسارع إليه وشارك).

فمن علامة قبول الطاعات الاستمرار عليها وانشراح الصدر لها والشعور بلذة العبادة وحلاوة الإيمان. وعيب على من تطهر من ذنوبه في هذا الشهر المبارك أن يعود إلى مستنقع المعاصي بعد رمضان. العبرة بالخواتم من الأعمال والله سبحانه وتعالى شرع لنا أعمال الطاعات والعبادات على طول العام، لنكون على اتصال دائم به سبحانه وتعالى. نستحضر خشيته وخوفه ومراقبته في حياتنا كلها، لتستقيم حياتنا على الشرع بما يجلب لنا رضا الله تعالى، ويحقق لنا السعادة في الدنيا والآخرة. وخير الأعمال أدومها وإن قل. ويقول تعالى: ﴿واعبد ربك حتى يأتيك اليقين﴾ واليقين هنا هو الموت، أي اعبد ربك واستمر على تلك العبادة إلى أن يتوفاك الأجل وأنت على تلك الحال. وقال العلماء في قوله تعالى: ﴿ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون﴾، أي كن مسلما طول حياتك حتى إذا جاء الموت تموت على دين الإسلام. والعبرة بخواتم الأعمال، ولذلك كان دعاء: اللهم اجعل خير أعمالنا خواتمها، وخير أيامنا يوم العرض عليك.

بِنَبْضِ القلب

حزب فرنسا مرة أخرى

الحرب هذه الأيام على أشدها ضد لغة الضاد، من قبل حفنة من الفرنكفونيين، أو ما أصبح يطلق عليهم داخل الإعلام المكتوب بـ"حزب فرنسا"، وإذا كانت الجهة التي تقود هذه الحملة المسعورة معروفة النوايا والخلفيات، فإن ما لم يكن في حسبان هؤلاء هو الحملة المضادة التي قام بها بعض الوطنيين المخلصين على صفحات بعض الجرائد المستقلة ضد الداعين إلى استعمال الدارجة عوض الفصحى، حيث فندوا أطروحات "حزب فرنسا" وسفهوا أحلامهم وكشفوا عوراتهم وأوراق التوت التي يتوارون خلفها... لقد زعم هؤلاء الفرنكفونيون المتعصبون أن الفصحى هي العائق أمام تطور الدول العربية لكونها لغة نخبوية لا تعرفها العامة، وأن الدراجة هي لغة الشارع التي بإمكانها الاستجابة للحاجة المعرفية لدى غالبية الناس، ومن ثمّ أصبح واجباً علينا إزاحة الفصحى لتحل محلها الدارجة، غير أن ما لم يقله هؤلاء هو أن اللغة العربية هي لغة القرآن، وأي فصل لها عن المجتمع هو فصل له عن كتاب الله وبالتالي فصله عن دينه وهويته، وهنا مربط الفرس..

إن حزب فرنسا معروف بعدائه لكل ما يرتبط بهوية المغاربة الدينية واللغوية، وهو يعرف أن الدول المتقدمة وعلى رأسها أمهم فرنسا، لم تفسح المجال قط للغة الشارع الفرنسي لتصبح لغة التدريس والعلم، كما أن هذه الشرذمة الهامشية لا تتقن لا فصحى ولا دارجة بل لسانها أعجمي فرنكوفوني محض...

فتحية إلى كافة الزملاء الصحافيين الغيورين الذين تصدوا على صفحات جرائدهم لهذه الفئة المشبوهة، وكشفوا مخططاتها الرامية إلى تنميط حياتنا وفق أجندة الاستعمار الجديد.

ذ. أحمد الأشهب

إصدارات

صدرللدكتور عبد القادر محجوبي كتاب تحت عنوان : "تفسير ابن خويز منداد" عن مركز الإمام الثعالبي للدراسات ونشر التراث (دار ابن حزم).

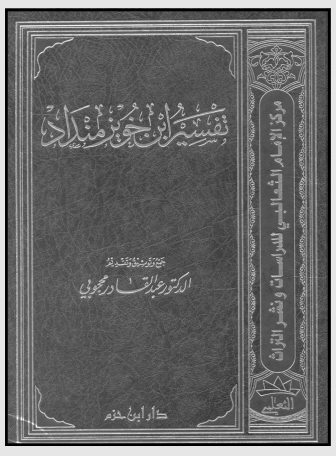

من أساليب النفاق

أ. د. عماد الدين خليل

لما فشلت محاولات المنافقين التخذيلية وخابت آمالهم في هزيمة المسلمين عبر صراعهم الطويل مع الوثنية واليهود، وحقق الرسول ﷺ انتصارات متتالية حاسمة على كلتا الجبهتين، رأى المنافقون أن يبحثوا عن أسباب أخرى لإضعاف جبهة المسلمين وتفكيكها ونشر الفوضى فيها، لكي ينفذوا من خلال ذلك إلى أهدافهم ومطامحهم، فلجأوا إلى أسلوب التخريب الداخلي ونشر الشائعات الهدامة، معتمدين على تسرّبهم في صفوف المؤمنين واحتكاكهم المباشر بهم، وقدرتهم على التخفي والانزواء.

ففي أعقاب غزوة بني المصطلق التي وقعت في مطلع شعبان عام 5 هـ على أرجح الروايات، أطلق المنافقون على يد زعيمهم ابن أبيّ وعدد من رؤوسهم، سهمين فتاكين إلى قلب المجتمع الإسلامي كادا أن ينزفا الكثير من دمه، أحدهما باتجاه الحسّ القبلي الذي لم يكن قد استؤصل بعد، والآخر باتجاه القيم الخلقية الوضيئة التي تميز المجتمع المسلم، فيما عرف بحديث الإفك الذي يعرفه الجميع.. ومن ثم سيقتصر الحديث على السهم الأول.

فلقد حدث -حينذاك- ان ازدحم على بئر هناك غلام من بني غفار لعمر بن الخطاب رضي الله عنه مع غلام جهني من يثرب، فاقتتلا فصرخ الجهني : يا معشر الأنصار وصرخ الغفاري : يا معشر المهاجرين. إلا أن أحدهما ما لبث أن عفا عن الآخر واصطلح الطرفان في أعقاب وساطة عدد من المهاجرين والأنصار. ولكن عبد الله بن أبيّ رأى أن ينتهز الفرصة فأظهر غضبه وصرخ بعصبية "أو قد فعلوها؟ قد نافرونا وكاثرونا في بلادنا، والله ما أعدّنا وجلابيب قريش إلا كما قال الأول : (سمّن كلبك يأكلك!!) والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل"!! ثم أقبل على من حضره من قومه وفيهم زيد ابن أرقم، وكان غلاماً حدثاً، فقال لهم "هذا ما فعلتم بأنفسكم، احللتموهم بلادكم وقاسمتموهم أموالكم، أما والله لو أمسكتم عنهم ما بأيديكم لتحولوا إلى غير داركم"!

توجه زيد بن أرقم فوراً إلى الرسول ﷺ وأخبره الخبر، فقال عمر بن الخطاب الذي كان يقف إلى جواره : مرّ عباد بن بشر فليقتله!! فأجابه الرسول ﷺ : إذن لأرعدت له أنف يثرب كثيرة.. وكيف يا عمر إذا تحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه؟ ولكن اذّن بالرحيل. وذلك في ساعة لم يكن الرسول ﷺ يرتحل فيها. فتحرك المسلمون. وعندما سمع ابن أبيّ أن أمره قد انكشف مشى إلى الرسول ﷺ متوسلاً وحلف بالله : ما قلت ما قاله زيد ولا تكلمت به! وعندما سمع أسيد بن حضير، أحد كبار الأنصار الخبر من رسول الله ﷺ، وأن ابن أبي زعم انه ان رجع إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل قال أسيد : فأنت يا رسول الله الأعز والله لتخرجنه منها إن شئت، هو والله الذليل وأنت العزيز. وما لبث أسيد أن تذكر الظروف التي أحاطت بزعيم المنافقين، ودفعته إلى اتخاذ موقفه الحانق هذا على الإسلام ورسوله فقال : يا رسول الله أرفق به، فو الله لقد جاءنا الله بك وان قومه لينظمون له الخرز ليتوجوه، فانه ليرى أنك قد استلبته ملكا!!

انطلق الرسول ﷺ بالمسلمين يومهم ذاك حتى أمسى، وليلتهم حتى أصبح، وصدر يومهم التالي حتى آذنتهم الشمس بالمغيب، فعسكر بهم، وما أن وجدوا مسّ الأرض حتى وقعوا نياما.

ولقد كان الرسول ﷺ حكيما في معالجته الموقف بهذا الأسلوب العملي. انه موقف نفسيّ يتوغل بعيداً في مسارب النفوس والوجدان، ومجابهته بالكلام والأقوال قد لا تجدي وربما تزيده تعقيداً، فليكن الأمر إذن عملا مجهداً يوازي في حجمه الموقف نفسه ويمتص كل ما يمكن ان يغرزه في نفوس المسلمين من سموم. وسيتكفل التعب والنوم والنسيان بعد ذاك بالإتيان على بقاياه. ومن أجل ذلك يقول ابن هشام "وانما فعل رسول الله ﷺ ذلك ليشغل الناس عن الحديث الذي كان بالأمس من عبد الله بن أبي".. ويذكر المؤرخ الواقدي بأن الناس راحوا يتحدثون بمقالة ابن أبيّ وما كان منه فما هو إلا أن أخذهم السهر والتعب بالمسير، فما نزلوا حتى ما يسمع لقول ابن أبي في أفواههم ذكر".

جعل ابن أبيّ بعد موقف الرسول المتسامح ذاك، عليه السلام، إذا أحدث الحدث كان قومه هم الذين يعاتبونه ويأخذونه ويعنفونه، وحينذاك قال الرسول ﷺ لعمر بن الخطاب رضي الله عنه : كيف ترى يا عمر؟ اما والله لو قتلته يوم قلت لي اقتله لأرعدت له أنف لو أمرتها اليوم بقتله لقتلته! أجاب عمر : قد والله علمت لأمر رسول الله ﷺ أعظم بركة من أمري!!

بل ابن زعيم المنافقين تقدم إلى الرسول ﷺ يطلب قتل أبيه!! فما يكون من الرسول عليه السلام إلا أن يجيبه : بل نترفق به ونحسن صحبته ما بقي معنا..

بارقة

وما دعاء الكافرين إلا في ضلال

أ.د. عبد السلام الهراس

لم يشهد العالم افتراء على العالم الإسلامي من نوع بشع مثلما شهده يوم أُلصق به دعوى الإرهاب على أميركا بتفجير البرجين والهجوم بالطائرة على البانتاغون والفريةُ كانت مسرحية فاشلة من لدن تأليفها إلى تمثيلها، فلقد تبين لكل ذي عينين وعقل أن طائرة البنتاغون لا وجود لها وقد فضح هذه الفرية باحث فرنسي في كتاب بعنوان "الفرية الكبرى" وقد حاضر بفرنسا وبالمغرب وبالمركز الثقافي الكبير بالإمارات مما جعل أمريكا تضغط على الإمارات باغلاق ذلك المركز الثقافي المتألق.

أما قصة الطائرتين فقد فندها كثيرمن الملاحظين والمختصين بل ومن شهداء الحادث ومن أبرز من فند فرية الطائرتين والبرجين ضابط الطيران الكبير : الرئيس المصري محمد المبارك الذي علق باستحالة الواقعة إذ انعطاف الطائرتين في تلك الزاوية الضيقة لا يعكس وقوعه إلا بعملية قيادة أرضية، ثم إن هناك شهودا سمعوا انفجارا من تحت البرجين ثم إن سقوط البرجين وقع رأسا والطائرتان اصطدمتا بقبة البرجين فالسقوط نتيجة لذلك كان ينبغي وقوعه من فوق ثم ما سر حضور مجموعة من الصهاينة قرب البرجين وهم يتبادلون الضحكات بل والانتشاء وقد ألقي القبض عليهم ثم سرعان ما افرج عنهم، وهل يستطيع مجموعة شبه أمية في الطيران أن تقوم بذلك وهي مجموعة لقيطة من الجزيرة العربية وواحد من مصر صرح والده أن ولده عطا اتصل به وتبرأ من ذلك وقال إنه ما يزال حيا يُرزق وهناك أكثر من ذلك أن الواقعة مسرحية فاشلة لاتهام المسلمين بالإرهاب تلك التهمة التي طرب لها بعض حكام المسلمين لترسيخ حكمهم الفاسد فاستوردُوا التهمة جاهزة لمحاربة كل من تشم فيهم رائحة المعارضة لحكمهم الفاسد وهكذا انتشر "الارهاب" أو تهمة الارهاب في العالم الاسلامي المتخلف مما جعل العالم الغربي كله يحتل كلاّ من أفغانستان وباكستان والعراق لتمزيق هذه البلاد شر ممزق وقد أعانها على احتلال العراق وأفغانستان دولة إيران الثورية التي صرح زعماؤها بذلك مراراً وتكراراً لذلك لا نُفَاجأ باعتزام راهب مخبول إحراق بعض مصاحف القرآن الكريم وقد اهتم الإعلام الغربي به أي اهتمام ليبين للعالم الإسلامي أنه يحترم الإسلام!! ولكن ماذا تقول الألمانية الشرقية المتخلفة ميركيل للعالم الاسلامي وهي توشح الدنماركي المستهزئ برسول الله ﷺ بوسام رفيع مكافأة له على رسومه الاستهزائية بسيد الخلق ذي الخلق العظيم، وإلى ما يرمي إليه المفتري الكبير بلير عندما يصرحّ هذه الأيام بأن أمراً إلهيا تزل عليه بوجوب الهجوم على العراق وما ذا ترون أن يصرح بوش بأن الهجوم على العراق كان وحياً سقط عليه من السماء و قد أدى الصلاة في الكنيسة قبل أن يشرع في هذا الهجوم..

إن معارضة إحراق المصحف كان من جهات أميركية خوفاً فقط على الجنود الأمريكيين في أفغانستان وباكستان وليس احتراماً لهذا الكتاب الذي لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه..

ولقد شاهدنا في أمريكا امرأة إمامة جمعة تؤم بعض المعتوهين المأجورين، كما سمعنا بمتنبئ يبشر بمعجزة رقم 19.

إن أمريكا تحترم "الإسلام" البترولي الذي يضمن لها التزود بهذه المادة الاستراتيجية المهمة وكل إسلام يهدد مصالحها ويعاكس استراتجيتها فهو إرهاب. ونحن لا ننسى لأمريكا أنها وراء إبادة العراقيين السنة بالتعاون مع إيران لمحاربة الشعب الأفغاني بتهمة الإرهاب وتصرح علانية أن على أي حكومة تتكون في العراق أن تكون على علاقة جيدة بإيران، إن إثارة الفتن بين السنة والشيعة وترجيح ميزان إخواننا الشيعة بدأت منذ عهد بوش المشؤوم وكان الخبير بالشيعة برنارد لويس اليهودي الحقود على الإسلام يزود الإدارة الأمريكية منذ عدة سنوات بما يساعدها على إثارة الفتن وقد استُغني عن خدماته أخيرا وعاد إلى انجلترا بعد ما ترك وراءه تلامذته النبغاء في محاربة المسلمين السنة.

إن ما تقوم به أمريكا من إضعاف العالم الإسلامي المسمّى بالسني قد باء بالفشل الذريع رغم أن الأنظمة السنية أي المحسوبة على السنة لا تتجاوب مع شعوبها في وجوب مجابهة السياسة الأمريكية الظالمة التي ما تزال تضعف عالمنا بشتى الوسائل.

ولكن كل ذلك باء بالفشل الذريع وستندم أمريكا ندماً كبيراً على ما ترتكبه في العالم الإسلامي من أخطاء فظيعة وقد يصعب عليها تدارك تلك الأخطاء المبنية على ضلال في ضلال وتخبط في تخبط.

أما ظاهرة التهديد بإحراق المصحف في أمريكا فهي شنشنة معروفة عند المسلمين في أفغانستان حيث تنتهك حرمة الإسلام وكتابه الكريم ولكن كل ذلك سيعود على أمريكا بالويل والثبور وما دعاء الكافرين إلا في ضلال.